الجمهـورية التركية

جامعة ماردين أرتقلو

معهد اللغات الحية في تركيا

قسم اللغة العربية وثقافتها

دراسات عليا (ماجستير)

فن الخاطرة عند الطنطاوي

أحمد كوكجة

17765021

المشرف: د. إبراهيم الشبلي

ماردين

2019

الجمهـورية التركية

جامعة ماردين أرتقلو

معهد اللغات الحية في تركيا

قسم اللغة العربية وثقافتها

دراسات عليا (ماجستير)

فن الخاطرة عند الطنطاوي

أحمد كوكجة

17765021

المشرف: د. إبراهيم الشبلي

ماردين

2019

TAAHHÜTNAME

TÜRKİYE'DE YAŞAYAN DİLLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

Mardin Artuklu Üniversitesi Lisansüstü Eğitim-Öğretim ve Sınav Yönetmeliğine göre hazırlamış olduğum **"Tantavi'de Hatıra Sanatı"** adlı tezin tamamen kendi çalışmam olduğunu ve her alıntıya kaynak gösterdiğimi ve tez yazım kılavuzuna uygun olarak hazırladığımı taahhüt eder, tezimin kağıt ve elektronik kopyalarının Mardin Artuklu Üniversitesi Türkiye'de Yaşayan Diller Enstitüsü arşivlerinde aşağıda belirttiğim koşullarda saklanmasına izin verdiğimi onaylarım. Lisansüstü Eğitim-Öğretim yönetmeliğinin ilgili maddeleri uyarınca gereğinin yapılmasını arz ederim.

☐ Tezimin/Projemin tamamı her yerden erişime açılabilir.

☐ Tezim/Projemin sadece Mardin Artuklu Üniversitesi yerleşkelerinden erişime açılabilir.

☐ Tezimin yıl süreyle erişime açılmasını istemiyorum. Bu sürenin sonunda uzatma için başvuruda bulunmadığım takdirde, tezimin tamamı her yerden erişime açılabilir.

02/10/2019

Öğrencinin Adı Soyadı

Ahmet GÖKÇE

KABUL VE ONAY

Ahmet GÖKÇE tarafından hazırlanan **"TANTAVİ'DE HATIRA SANATI"** adındaki çalışma, **30.09.2019** tarihinde yapılan savunma sınavı sonucunda jürimiz tarafından **Arap Dili ve Kültürü** Anabilim Dalında **YÜKSEK LİSANS TEZİ** olarak oybirliği ile kabul edilmiştir.

[İmza]

[Doç.Dr. Yaşar ACAT] (Başkan)

Dr.Öğr. Üyesi İbrahem ALSHBLI

Dr.Öğr.Üyesi Samer KATEA

قال تعالى:

(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) البقرة 32

صدق الله العظيم

الإهداء

أقدم شكري وامتناني لمن كانوا سبباً في استمرار مسيرتي العلمية ووقفوا معي في أشدّ الظروف وحفزوني على المثابرة والاستمرار .

كما أشكر جميع الدكاترة والأساتذة الأفاضل الذين ساعدوني على تجاوز العقبات التي واجهتني، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف ولجنة المناقشين.

أعطر التحايا وأنداها لكم جميعاً.

مـــقدمة:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.. الحمد لله رب العالمين.. وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبـــي الأمـي وعلـى آلـه وصحبه أجمعين، وبعد:

للخاطرة قيمة أدبية مميزة في الأدب العربي قديمًا وحديثًا، وهي عند شيخنا الأديب علي الطنطاوي تكتسي نكهة خاصة وطابعا متميزًا، لذا سادت كتاباته ولاقت قبولا كبيرًا بين جمهور القراء والدارسين، من هذا المنطلق جاء البحث ليسلط الضوء على:

1.الخصائص والمميزات التي امتازت بها الخاطرة عند شيخ الأدباء وأديب الفقهاء علي الطنطاوي.

2.وللوقوف على مكامن الإبداع فيما خطَّته أنامله وأبدعته قريحته حتى تجـلت في خـواطره عبقرية الكاتب، ووصل بهذا اللون الأدبي إلى مكانة عاليـة في أدبنا العربي الحديث، فأبدع فيها إبداعاً بأسلوبه الذي كشف عن عمق فكره، ودقة عباراته، وتفرّد أسلوبه في الكتابة، مع تنوع عجيب في تناول شتى الموضوعات.

دوافع اختيار الموضوع

قرأت للشيخ الطنطاوي مجموعة من المؤلفات، فراقني أسلوبه، وأعجبني منهجهُ في التفكير في تناوله للكثير من الأحداث، ولفت انتباهي ذاك التنوع الجميل في كتبه، فارتأيت، وفاءً لهذا القلم السامق، أن أتناول هذه الكتابات بالدراسة والتحليل في شق بارز فيها وهو الخاطرة، علّني أكشف ما تميز به هذا اللون الأدبي عند أستاذنا علي الطنطاوي.

الهدف من دراسة الموضوع

تسليط الضوء على فنّ الخاطرة والتعرف على خصوصياتها ومميزاتها عامَّةً، وعلى طبيعتها في كتابات الأديب علي الطنطاوي خاصَّةً.

أهمية الموضوع

الخاطرة فنٌّ أدبيٌّ له خصائصه وأنواعه، وهي ليست مجرد انفعالات وأحاسيس، بل هي وسيلة لتوعية المجتمع بمختلف مستوياته الثقافية، إذ يمكن بها تبسيط الفكرة وتقريبها للذهن، ومن خلالها يستطيع الأديب توصيل الرسالة للقارئ على أكمل وجه، وهو الطريق نفسُهُ الذي سلكَهُ

الشيخ علي الطنطاوي ونجح فيه. كما أنَّ قلّة الدراسات التي تناولت الخاطرة عند الشيخ الطنطاوي شجَّعت الباحثَ على التَّصدِّي لهذه المهمَّة.

منهج الدراسة

قامت هذه الدراسة في معظمها على المنهج الوصفي التحليلي، الَّذي يستند على الاستقراء والتحليل والتوصيف، ووجدتهُ أنسبَ المناهجَ لاستخلاص خصائص فن الخاطرة عند الطنطاوي وأسلوبه فيها.

صعوبات الدراسة

نُدْرة الدراسات التي تناولت خواطر الطنطاوي بالبحث والتحليل جعلت عملي في هذا البحث تكتسيه بعض الصعوبة وتحفه بعض المشقة لكني حاولت جاهدا تذليلها وتجاوز بعضها بما يسره الله لي. ولا أدعي أنني أتيت بما لا يُستطاع، لكنني آمل أن يكون هذا البحث قد فتح الباب مستقبلا أمام بحوث أخرى تستفيض أكثر في دراسة هذا الفن عند الأديب الأريب علي الطنطاوي.

الدراسات السابقة

الدراسات التي دارت حول علي الطنطاوي، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- ذكـريات الطنطاوي دراســة فنية، الباحث أحمد آل مريع، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1420 هـ.

  وهو موضوع يعد من أوسع البحوث التي تتكلم على أدبيات الشيخ الطنطاوي، إذ شرح معظم المسائل التي ذكرها علي الطنطاوي في ذكرياته، ويتقاطع بحثي مع هذه الدراسة في الجانب الفني من خلال الجانب الفني الذي رتبته ضمن الفصل الثالث، إلا أنه لم يتطرق إلى موضوعات الخاطرة جميعها رغم أن دراسته كانت أوسع.
- الـذكـريات في الأدب العربي ذكريات الأديب علي الطنطاوي نموذجا، الباحث عبد الله سواس، رسالة ماجستير، جامعة يوزونجويل، وان، تركيا، 2017.

  وقد استفاد هذا البحث من سابقهِ، ويكاد يكون في موضوعاته مختصراً له، لكنه درس الذكريات بنمط جديد فتحدث بنيات الذكريات.

  وقد أفدتُ من من هذه الدراسة، لكنني اختلفتُ عنهُ في دراستي لفن الخاطرة على أنَّهُ موضوع مستقل بذاتهِ.

- تشبيهات الشيخ الطنطاوي، ناصر عبد العزيز الهذيلي الذي تناول بالدرس والتحليل الجوانب البلاغية في كتب الطنطاوي، ولاسيَّما التشبيه والمجاز والصورة الفنية.

ويتصل هذا البحث بموضوع دراستنا في نقاطٍ جزئية لا تنفي عن بحثنا جدَّتَهُ وأصالتهُ.

خطة البحث

هذا وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، حيث تحدثت في **التمهيد**: عن حياة الطنطاوي ومؤلفاته وتعريف الخاطرة ونشأتها وخصائصها وأبرز كتابها والفرق بين المقالة والخاطرة، وفي **الفصل الأول:** تحدثت عن البنية الموضوعية للخاطرة عند الطنطاوي، أما **الفصل الثاني:** فقد تحدثت فيه عن البنية الأسلوبية للخاطرة عند الطنطاوي، وفي **الفصل الثالث:** بينت البنية الفنية للخاطرة عند الطنطاوي، وأنهيت البحث **بخاتمة:** ضمّت أهم النتائج والتوصيات التي وصلت إليها.

وفي النهاية أتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذي المشرف الدكتور إبراهيم الشبلي، الّذي قدم لي يد العون والإرشاد لإتمام هذا البحث، والشكرُ موصولٌ لكل من ساعدني في هذا العمل المتواضع، والله من وراء القصد.

Ahmet GÖKÇE

فهرس المحتويات

مـــقدمة iii

الملخّص viii

ÖZET x

ABSTRACT xii

تمهـــــيد 2

1. نظرة موجزة عن حياة علي الطنطاوي 2

1.1. اسمه ولقبه:... 2

2.1. مولده: 2

3.1. نشأته: 3

4.1. دراسته: 3

5.1. عمله: 4

6.1. مؤلفاته: 7

2. الخاطرة 10

1.2. تعريفها: 10

2.2. نشأة الخاطرة: 11

3.2. أهمية فن الخاطرة: 12

4.2. أهمية الخاطرة عند الطنطاوي..... 13

5.2. أنواع الخاطرة: 13

6.2. الفرق بين الخاطرة والمقالة 13

1.6.2. تعريف المقالة:..... 14

2.6.2. أوجه الاشتراك بين المقالة والخاطرة..... 15

3.6.2. أوجه الاختلاف بين المقالة والخاطرة 15

7.2.الذكريات 17

8.2. المذكرات 17

9.2. السيرة 17

10.2. فرق المذكرة عن السيرة:..... 18

11.2. أشهر كُتَّاب الخاطرة: 19
1. البنية الموضوعية للخاطرة عند علي الطنطاوي:..... 21
1.1. الخاطرة الاجتماعية 21
2.1. الخاطرة السياسية..... 29
3.1. الخاطرة الوجدانية..... 35
4.1. الخاطرة الوصفية..... 38
2. البنية الأسلوبية للخاطرة عند الطنطاوي 45
1.2. المستوى اللفظي 48
2.2. المستوى التركيبي 52
1.2.2 التكرار..... 56
2.2.2 الاستطراد.... 59
3.2. المستوى الدلالي..... 63
التناص..... 65
3. البنية الفنية للخاطرة عند الطنطاوي..... 69
1.3. الصورة الفنية 69
2.3. المجاز..... 75
3.3. تشبيهات علي الطنطاوي 79
4.3. المحسنات البديعية..... 82
الخـــاتمة..... 87
المصادر 91
المراجع..... 91
مواقع الإنترنت..... 93

الملخّص

إنَّ موضـوع هذا البحث هو دراسة الخاطرة عند علي الطنطاوي دراسة فنيّة موضوعية، إذ تمثّل الخاطرة فنًا من فنون النثر. وقد شهـد هذا الفن تطورًا كبيرًا على يد عدد من الأدباء، ولهذا قام الباحث بدراسة هذا الفن عند رائدٍ من رواده، وهو علي الطنطاوي الذي تجلَّت فيه عبقريته، ووصل فيه إلى مـكانة عالية، فأبدع فيه إبداعًا عجيبًا، إذ امـتاز بالأفكار العميقة، والعبارات الدقيقة، والأسلوب الجميل في الكتابة. وكان إنتاجه فيه غزيرًا؛ لتوفر مقومات موضوعية جعلته من بين أبرز الكُتَّاب الذين كتبوا في هذا المجال في عصره.

وقد قام هذا البحث بدراسة تحليلية تقف على الجوانب المميزة لها كالإيجاز والتصوير في العبارة، وجزالة الأسلوب وصدق الفكرة، ومختلف الجوانب الفنية المنتشرة بصفحات مؤلفاته المتعددة؛ لشرحها وتحليلها وبيان موضوعاتها. والمنهج المتّبع في هذه الدراسة هو منهجٌ وصفيٌّ تحليلي ينتهي بنتائج وتوصيات.

وقف الفصل الأول على أهم موضوعات الخاطرة عند علي الطنطاوي وهي: الخاطرة الاجتماعية، والسياسية، والوجدانية، والوصفية الإنسانية. أما الفصل الثاني، فقد سلط الضوء على البنية الأسلوبية للخاطرة عنده، من خلال المستوى اللفظي، والمستوى التركيبي، وما يحتويه من التكرار، والاستطراد، والمستوى الدلالي، وما يحتويه من تناص. وتحدّث الفصل الثالث عن البنية الفنية للخاطرة عنده من خلال الصورة الفنية، والمجاز، والتشبيه، والمحسنات البديعية.

ولقد خلُصت الدراسة إلى أن فن الخاطرة فن بارز عند علي الطنطاوي أبان فيه عن أفكاره وعواطفه ومشاعره وأسلوبهِ أيضاً، واستطاع من خلاله أن يسهم في العمل السياسي والأدبي وأن يرتقي بالإنسان وحياته من الجهل والتخلف والعادات السيئة إلى العلم والحضارة والحضّ على فضائل الأخلاق، من خلال معالجة قضايا المجتمع وإيجاد الحلول المناسبة لها، والوقوف في وجه المستعمر المحتل والرجوع إلى الدين الإسلامي والتمسك به وبتعاليمه.

الكلمات المفتاحية: فن الخاطرة، علي الطنطاوي، الموضوعية، الأسلوبية ، البنية الفنية.

ÖZET

Bu tez Ali et-Tantâvî'nin nesir edebiyat türlerinden biri olan Hâtıra sanatını tarafsız teknik bir çalışmayla ele alır.

Hatırat sanatı bir kısım edebiyatçılar tarafından ele alındığı için büyük bir gelişme göstermiştir. Bunun için biz, bu sanatı, bu alandaki en önemli öncülerden biri olan Ali et-Tantâvî'nin hatırat sanatını ele aldık.

Ali et-Tantâvî derin fikirleriyle, ince ibaresiyle, güzel üslubuyla, bu alanda yüksek bir yere gelmiş ve diğer edebiyatçılar arasında temayüz etmiştir.

Ali et-Tantâvî'nin hatırat sanatındaki rolü büyüktür. Onun edebi nesnel ögelere sahip olduğu için onu bu alanda asrında en mühim yazarları arasında kılmıştır.

Bu tez Ali et-Tantâvî'nin hatırat sanatında; ibaredeki icaz ve tasviri, üslubundaki cezaleti (açıklık), fikrindeki doğruluğu, yazarın birçok eserindeki sayfalarında; açıklar ve konularını tahlil ve beyan eder.

Bu çalışmada en önemli neticelere ulaştıran Analitik tanımlayıcı yaklaşım yöntemi takip edilmiştir.

Birinci bölüm; hatırat sanatının en önemli konuları olan; içtimai siyasi vicdani ve insani betimleyici hatıratı ele aldık.

ikinci bölüm ise ali et-tantâvî'nin üslup yapısını oluşturan kelime seviyesini,cümle yapısını ve onu içeren (tekrar ve istidrad) ve anlamsal seviyesi olan tenas(alıntı) ya ışık tutmuştur.

üçüncü bölümde ise; ali et-tantâvî'nin hatıratındaki sanatsal edebi yapı olan fenni süretler,mecaz, teşbih ,bedî' (harika) iyileştirme sanatını ele aldık.

Çalışmanın sonunda ulaşılan, hatırat sanatı Ali et-Tantâvî'nin yanında bariz bir sanattır; fikirlerini duygularını ve hislerini ortaya koymuştur. Hatıratındaki fikirleriyle siyasi ve edebi alana katkıda bulunmuş ve insanı cehalet ve gericilikten ilme, medeniyete ve kötü alışkanlıkların terkiyle yüceltir.

Bunu ise toplumun sorunlarını ve çözüm arayışları ile sömürgeci ve işgalcilerin karşısında durmakla ve İslam dininin öğretilerine tutunmakla sağladığını tespit ettik.

Anahtar kelimeler;

Hatırat sanatı, Ali et-Tantâvî, nesnel, üslup, fenni güzellik.

,

ABSTRACT

This study aims to study the art of *Al Hatira* of Ali Al-Tantawi, an objective technical study.

In the first section and clarified the most important topics of *Al Hatira* at Ali Al-Tantawi: social, political, emotional and descriptive *Al Hatira*.

In the second chapter, al-Tantawi's methodological structure have been revealed; Language, words, structures, repetition and semantic level, as well as the most esoteric characteristics of his thoughts have been studied.

In the next chapter the researcher talks on the aesthetics of the art of *Al Hatira* at Ali Al-Tantawi through the digression and the most important virtues in his thoughts and metaphor and the extent of relevance to the topics in the thoughts and the technical image and its impact and good use in the thoughts of El-Tantawi.

In the end, the research showed that the art of *Al Hatira* is a prominent art of Ali Al-Tantawi expressing his thoughts, emotions and feelings, and through his ideas in thoughts he contributed to the political work and to elevate man and his life from ignorance and backwardness and bad habits to science and civilization And to leave bad habits, by addressing the issues of society and finding solutions to them, and to stand in the face of the occupied colonized and worn habits and return to the Islamic religion and adhere to it and its orders.

The input of Ali Al-Tantawi in the art of *Al Hatira* is great; that provide the substantive elements that made him among the most prominent writers who wrote in this area in his time.

In this research, I tried to search for *Al Hatira* at Ali Al-Tantawi, who is spread through the pages of his various works; to explain them, analyze them and explain their subjects.

At the end of the research, the researcher collected the most important results and recommendations that he reached at the end of his research, including that Ali Al-Tantawi is an innovative writer able to employ his literature to serve the issues of the Islamic and Arab nation and to address the social issues that circulated in his time, in a technical manner that

expresses a high literary ability, which shows that he was superior of the writers who wrote in the art of *Al- Hatira* in that time.

Al Hatira is a new phenomenon in modern literature which has special characteristics that distinguish it from other arts. This art at Al-Tantawi included various artistic and aesthetic aspects according to the diversity of its subjects.

Al-Tantawi's thoughts were not combined in one of his books, but were distributed in his various books. So, there is hardly a book of him devoid of his thoughts as an art of *Al Hatira*.

Key words: The Art of *Al Hatira*، Ali Al-Tantawi، Objectivity، Stylistic، Art aesthetics.

تمـــهيـــــد:

- نظرة موجزة عن حياة علي الطنطاوي

- الخـــاطرة

تمهـــــيد

أديبُ الفقهاء وفقيهُ الأدباء الشيخ علي الطنطاوي، من الشخصيات الفذّة الحصيفة المُقنعة بآرائها المثيرة بشخصيتها، الفعّالة بنشاطاتها وإبداعاتها، أسهب الكثير في الحديث عنه وبيان قدره وفضله، إذ تبوأ مقاما عاليا في الساحة الفكرية والأدبية والإصلاحية، فهو أحد أهم رجالات الفكر والأدب المعاصر، وأحد أعلام الدعوة الإسلامية والأدب العربي في القرن العشرين، ذاع صيته في حياته وبعد مماته، وتناولت الكثير من الأقلام مؤلفاته بالدراسة والبحث والتحليل، ونهل الكثير من فيض فكره وغزير نصحه وهديه. ولعل أبرز ملمح في كتاباته هو فن الخاطرة إذ تميز بهذا الفن وبرع به، حتى غدا سِمة من سمات التأليف لديه كما في كتبه:(دمشق)، و(صور وخواطر)، و(ذكريات) الذي جاء على أجزاء.

ولأن الإنسان ابن بيئته، فأرى أنه من الواجب الوقوف على بعض ملامح البيئة التي أنجبت لنا هذه الشخصية الأدبية العظيمة.

1. نظرة موجزة عن حياة علي الطنطاوي

1.1. اسمه ولقبه:

هو علي بن مصطفى بن أحمد بن علي بن مصطفى الطنطاوي.[1]

ولقب بالطنطاوي نسبة إلى مدينة (طنطا) في مصر، إذ قدم جدُّ أبيه منها إلى دمشق في سنة 1255 هـ / 1838 م.[2]

كذلك لقب علي الطنطاوي في شبابه بأبي الهيثم، ووقع بها مقالاته في مجلتي فتى العرب والناقد. وجمع بعض هذه المقالات في كتابه (الهيثميات). [3]

2.1. مولده:

ولد الأديب علي الطنطاوي في دمشق في حي العقيبة، وبه نشأ وكان ذلك في يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الأولى من سنة 1327 هـ / 1908 م.[4]

1- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، ط3، دار المنارة، جدة، 2001، 134/1.

2 - وكان اسمه محمد مصطفى الطنطاوي، لزم الجامع الأزهر خمس سنوات، قرأ فيه على علمائه وأخذ منهم، وكانت له مشاركات في التعليم والتأليف في دمشق، فترك كتبًا صغيرة أكثرها في الفلك والرياضيات.
علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*،.136/1

3- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*،2 /22.

4- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*،25/2.

3.1. نشأته:

نشأ علي الطنطاوي في أسرة علمية، فكان والده الشيخ مصطفى الطنطاوي في الطبقة الأولى من فقهاء الشام، وكان العلماء يرتادون بيته؛ ليتدارسوا العلم، فقاده هذا الجو إلى حب العلم والمطالعة في مكتبة والده، الذي كان مولعاً باقتناء الكتب، التي أكسبته ثقافة واسعة، إذ كان يقضي معظم أوقاته بين الكتب، حتى قال عن ذلك: "فأنا اليوم وأنا بالأمس كما كنت في الصغر أمضي وقتي أكثره في الدار أقرأ، وربما مر علي يوم أقرأ فيه ثلاثمئة صحيفة".[5]

4.1. دراسته:

تلقّى الطنطاوي دراسته من طريقين هما: المدارس النظامية والدراسة على المشايخ؛ فقد تعلم إلى أن أنهى دراسته الجامعية، إضافة إلى ذلك كان يقرأ على المشايخ علوم العربية والعلوم الدينية، فيقول عن نفسه: " مشيت من أول يوم في الطريقتين معاً .... طريقة المشايخ، وهي على الأسلوب الأزهري القديم، وطريقة المدارس النظامية التي سلكتها من أدنى الابتدائية إلى أعلى الجامعة، وأخذت من الاثنتين خير ما وجدته فيهما، ولكن الذي كان أجدى علي وأنفع لي منهما، أوهو في النفع مثلهما هو المطالعة ".[6]

تلقى تعليمه في المدرسة الابتدائية الأولى في العهد العثماني، وكان طالباً في المدرسة التجارية التي كان أبوه مديراً لها حتى سنة 1918 م، ثم في المدرسة السلطانية الثانية، ثم في المدرسة الجقمقية، وبعدها في مدرسة أنموذج المهاجرين، المعروفة الآن باسم مدرسة طارق بن زياد في دمشق، وحصل على الشهادة الابتدائية في عام 1923 م، ثم دخل مكتب عنبر – مدرسة متوسطة وثانوية – ومنه نال درجة الثانوية العامة سنة 1928 م. سافر بعدها إلى مصر، ودخل كلية دار العلوم ؛ لكنه لم يتم السنة الأولى؛ ليعود إلى دمشق سنة 1929 م، ثم التحق بكلية الحقوق في جامعتها، حتى نال الليسانس سنة 1933 م. [7]

5- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*،26/2.
6- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 162/1.
7- مجاهد ديرانية، *علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقيه الأدباء*، ط1، دار القلم، دمشق، 2001، ص 11-12.

ومن العلماء الذين تلقى العلم على أيديهم والده، فلما توفي قرأ على غيره من العلماء، أمثال بدر الدين الحسني[8]، والسيد محمد بن جعفر الكتاني[9]، والشيخ عبد المحسن الأسطواني[10]، والشيخ سليمان الجوخدار[11]، والسيد محمد الخضر حسين[12]، والشيخ عبد المجيد سليم[13] وغيرهم".[14]

وقد عدّ من مشايخه الذين قرأ عليهم، أكثر من أربعين شيخًا، فقال: " وأظن أني لو عددتهم لأربى عددهم على المئة، جزاهم الله خيراً ".[15]

5.1. عمله:

عمل الشيخ علي الطنطاوي في وظائف عديدة في التعليم والقضاء والصحافة، فبعد أن حصل على شهادة الكفاءة المتوسطة، توقف عن التعليم، واضطر للعمل بعد وفاة والده؛ لإعالة أسرته، وقد كان أكبر إخوته سناً، فعمل محاسباً عند بعض التجار، ثم عمل بالتجارة، ولكن تجارته

8- العلاّمة المحدِّث، أصله من مراكش، ولد في دمشق، وحفظ الصحيحين غيباً بأسانيدهما، ونحو عشرين ألف بيت من متون العلوم المختلفة، وانقطع للعبادة والتدريس، وكان ورعاً وبعيداً عن الدنيا، وارتفعت مكانته عند الحكام وأهل الشام كن محدث الشام في عصره، وكان يأبى الإفتاء ولا يرغب في التصنيف، ولا نعرف له غير رسالتين مطبوعتين، إحداهما في سنده لصحيح البخاري، والثانية في شرح قصيدة "غرامي صحيح" في مصطلح الحديث.
خير الدين الزركلي، الأعلام ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط12، 1997م. 158/7

9- محمد بن جعفر بن إدريس الكَتَّاني الحسني الفاسي، أبو عبد الله :مؤرخ محدث، مكثر من التصنيف. مولده ووفاته بفاس. رحل إلى الحجاز مرتين، وهاجر بأهله إلى المدينة سنة 1332 هـ فأقام إلى سنة 1338 وانتقل إلى دمشق فسكنها إلى سنة 1345 وعاد إلى المغرب، فتوفي في بلده. له نحو 60 كتابا، منها (نظم المتناثر في الحديث المتواتر.
الزركلي، الأعلام، 72/6.

10- (**1858-1963**)من أبرز علماء دمشق في القرن الرابع عشرا وأكثرهم تبحرا وتدقيقا ،عمل أمينًا للفتوى في دمشق، حتى قبيل الحرب العالمية الأولى، ثم عُيّن نائبًا في مجلس «المبعوثان» العثماني عام 1913، وبعد انتهاء الحرب اختاره الملك فيصل عضوًا في مجلس الشورى عام 1919، ثم عُيّن رئيسًا لهذا المجلس حتى تم حله على يد الفرنسيين عام 1924، وفي عام 1927 عُيّن قاضيًا شرعيًا ممتازًا لدمشق حتى عام 1936، ثم رئيسًا لمحكمة التمييز الشرعية، وأحيل إلى التقاعد عام 1949. انظر:
https://syrmh.com/tag/%D8%B9%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%B3%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%B7%D9%88%D8%A7%D9%86%D9%8A/

11- **1867 - 1957م** (سليمان بن محمد الجوخدار. فقيه، حقوقي درس العلوم العربية والفقهية وغيرها على والده وبعض العلماء، وأجيز في القضاء، وتقلد مناصب قضائية شرعية وقانونية، وانتخب نائباً في مجلس المبعوثين العثماني، ثم عين مفتياً عاماً في دمشق فقاضياً للمدينة المنورة، فعضواً في محكمة التمييز العليا السورية، فرئيساً ثانياً لها، ودرّس بمعهد الحقوق بدمشق. وتولى وزارة العدل السورية. انظر:
https://alencyclopedia.com/%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%88%D8%AE%D8%AF%D8%A7%D8%B1/

12- 1876-1958 عالم تونسي من أصول جزائرية، تقلد مناصب مختلفة في التدريس والإفتاء والقضاء، وتولى مشيخة الأزهر عام 1952، انظر:
%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B2%D9%87%D8%B1/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7-%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3/%D9%85%D9%86%D9%88%D8%B9%D8%A7%D8%AA/%D8%AA%D9

13 -(1882-1954) من علكاء الأزهر الشريف، تولى مناصب في سلك الإفتاء والقضاء، وكان من أشهر علماء الأزهر في عصره،انظرhttp://www.dar-alifta.org/ar/ViewScientist.aspx?sec=new&ID=15&LangID=1

14- علي الطنطاوي، *تعريف عام بدين الإسلام*، ط1، دار المنارة، جدة، 1989 م، ص 5-6.

15- علي الطنطاوي، *تعريف عام بدين الإسلام*، ص 6.

خسرت، بعدها منَّ الله عليه ليُتمَّ دراسته من جديد، فبدأ حياته العملية معلماً في المدارس الابتدائية والمدارس الأهلية، وهو في سنة الثامنة عشْرة.

وعندما كان طالباً في كلية الحقوق، عين مدرساً في مدرسة حكومية في قرية السلمية، انتقل بعدها إلى مدينة سقبا قرب دمشق، ثم إلى رنكوس، ثم إلى زاكية، وتنقله هذا كان نتيجة مواقفه الوطنية في مناهضة المستعمر الفرنسي وأعوانه. وفي عام 1936 م انتقل إلى العراق؛ ليدرس في الثانوية المركزية في بغداد، ثم انتقل إلى كركوك، ثم إلى البصرة، وبقي مدرساً في العراق حتى سنة 1939م إلا أنه في تلك الفترة أمضى سنة مدرساً في الكلية الشرعية ببيروت سنة 1937م، ثم عاد إلى دمشق وعين أستاذاً مساعداً في مكتب عنبر، ثم نقل إلى دير الزور، ليترك بعدها التعليم، ويتجه إلى القضاء في سنة 1940 م.[16]

نجح الأديب علي الطنطاوي بالالتحاق بسلك القضاء بعد أن اجتاز امتحانًا أجري لحملة شهادة الحقوق، فعين قاضياً في النبك، ثم في دوما وهما من قرى دمشق، ثم عين مستشاراً لمحكمة النقض في دمشق، ثم مستشاراً لمحكمة النقض في القاهرة، في زمن الوحدة بين مصر وسورية، واستمر في القضاء نحو ربع قرن من الزمن، كان خلالها متميزًا في عمله ومحبا له ومخلصاً فيه.[17]

يقول الشيخ علي الطنطاوي: " رجعت من مكة من الإجازة في صيف 1966م ووصلت إلى عمان، فإذا أنا أجد عدداً من جريدة (الحياة) فيه نبأ رفع الحصانة عن القضاة في سوريا أربعاً وعشرين ساعة، وصدر القرار بتسريح عددٍ منهم من الذين لا يوائمون العهد ولا يمشون معه ولا يسايرونه في تقدميته واشتراكيته، وكان الاسم الأول في هذه القائمة اسم عبد القادر الأسود رئيس محكمة النقض، والثاني اسم علي الطنطاوي، وقد مرّ قراء الجريدة بهذا الجزء مروراً عابراً، لم يدروا أنه خاتمة قصة طويلة ..... بدأت بإعلان قديم رأيته على عامود الكهرباء في ساحة المرجة في دمشق سنة 1941م، وانتهت بهذا الإعلان الذي وجدته في جريدة الحياة سنة 1966م ".[18]

إضافة إلى ذلك عمل في الصحافة وكتب العديد من المقالات والخواطر، فيقول – وكلامه هذا عن أول مقال كتبه وهو في السابعة عشْرة من عمره - : " كتبت مقالاً وقرأته على رفيقي أنور العطار، فأشار علي أن أنشره، فاستكبرت ذلك، فما فتئ يزينه لي حتى لنت له، وغدوت على إدارة المقتبس، فسلمت على الأستاذ أحمد كرد علي ـ رحمه الله ورحم جريدته ـ ودفعت إليه

16- مجاهد ديرانية، *علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقيه الأدباء*، ص 19- 20.
17- مجاهد ديرانية، *علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقيه الأدباء*، ص 20.
18- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 37/8.

المقال، فنظر فيه فرآه كلاماً مكتملاً، ونظر في وجهي فرأى فتىً فطرياً، فعجب أن يكون هذا من هذا، وكأنه لم يصدقه، فاحتال علي حتى امتحنني بشيء أكتبه له، زعم أن المطبعة تحتاج إليه فليس يصح تأخيره، فأنشأته له إنشاء من يسابق قلمَهُ فكرُهُ، فازداد عجبه مني، ووعدني بنشر المقال غداة الغد ....

حتى إذا انبثق الصبح وأضحى النهار أخذت الجريدة، فإذا فيها المقال وبين يديه كلمة ثناء لو قيلت في الجاحظ لرآها كبيرة عليه ..... ".[19]

لم ينقطع بعده الطنطاوي عن الكتابة الصحفية، وأخذ يكتب في العديد من الصحف والمجلات، ثم عمل في تحرير مجلتي (الزهراء والفتح) في مصر، وبعد عودته إلى دمشق، عمل في جريدة (فتى العرب) مع الكاتب معروف الأرناؤوط[20]، ثم كتب في صحيفة (ألف باء) مع الكاتب يوسف العيسى[21] شيخ الصحافة السورية، ثم أصبح مديراً لتحرير جريدة (الأيام) التي صدرت عن الكتلة الوطنية عام 1931 م.

كما كتب لصحيفتي (الناقد والشعب)، وكذلك في مجلة (الرسالة المصرية) لمدة عشرين سنة، إلى أن توقفت عام 1953م.

وبعد انتقاله للعمل في المملكة العربية السعودية كتب في مجلة (الحج)، وجريدة (المدينة)، وقامت جريدة (الشرق الأوسط) بنشر مذكراته على مدى خمس سنوات.[22]

وأثناء بقائه في المملكة العربية السعودية، عمل مدرساً في الكليات والمعاهد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1963م، انتقل بعدها إلى مكة وأقام بجوار الحرم إحدى وعشرين سنة، إذ عمل بالتدريس في كلية التربية بمكة، ثم كلف بتنفيذ برنامج للتوعية الإسلامية، وراح يطوف على الجامعات والمعاهد والمدارس في أنحاء المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات، كما عمل في إذاعة المملكة العربية السعودية نحو ربع قرن من الزمن من خلال برنامجَي (مسائل ومشكلات) و(نور وهداية)، اللّذَين تعلق بهما الناس على اختلاف ميولهم وأعمارهم وأجناسهم

19- علي الطنطاوي، من *حديث النفس*، ط 8، دار المنارة، جدة، 2011، ص 204 – 205.

20- (1892-1948) ولد في بيروت - وتوفي في دمشق تلقى تعليمه الأولي في إحدى مدارس بيروت الإبتدائية، وتابع دروسه في الكلية العثمانية الإسلامية، وتعلم فيها اللغات الأجنبية والخطابة وكان عضوًا بمجمع اللغة العربية بدمشق منذ (1930)، وانضم إلى عدة جمعيات ولجان في بيروت والشام، وترأس نقابة الصحافة السورية لسنوات، انظر: معجم البابطين http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=7396

21- (1870- 1948)ولد يوسف العيسى في يافا واستكمل دراسته في بيروت. وعند إغلاق الصحيفة في سنة 1914، اعتقل وأودع في السجن في دمشق، وبعد خروجه من السجن بقي في دمشق حيث أصدر هناك صحيفة*ألف باء*) التي استمرت بالصدور حتى سنة 1958، انظر موقع تاريخ الصحافة https://web.nli.org.il/sites/nlis/ar/jrayed/pages/filastin.aspx

22- مجاهد ديرانية، *علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقيه الأدباء*، ص 15.

وجنسياتهم، ويُعَدُّ الطنطاوي من أوائلِ مذيعي العالم العربي، فقد عمل في إذاعة (الشرق الأدنى) من يافا، وإذاعة (بغداد)، كما عمل في إذاعة (دمشق) من سنة 1942 م لأكثر من عقدين متصلين.[23]

وقد استقر في جدة وأقام فيها حتى وفاته في الثامن عشر من شهر حزيران عام 1999، لتنتهي بذلك مسيرة حافلة بالإنجازات الفكرية والأدبية والدعوة إلى الله. [24]

وبالرغم من انشغاله بالأعمال المختلفة في ميادين مختلفة لم ينقطع عن الأدب والكتابة، وقد كان كاتباً مبدعاً استطاع من خلال القراءة الواعية منذ الصغر، أن يحصل على غايته، للوصول إلى المجد الأدبي، يقول: " طلبت المجد الأدبي، وسعيت له سعيه، وأذهبت له في المطالعة حدة بصري، وملأت لها ساعات عمري .... فلما نلته أو نلت بعضه زهدت فيه".[25]

6.1. مؤلفاته:

ترك الأديب علي الطنطاوي الكثير من المؤلفات والآثار وأكثر مؤلفاته مقالات متنوعة تاريخية ودينية ووصفية جمعها في كتب، وقد كتب في أكثر مجالات الأدب. وهذه مؤلفاته سنوردها حسب تاريخ تأليفها كما يأتي:

رسائل الإصلاح (1929 م)

بشار بن برد (1929 م)

الهيثميات (1930 م)

أبو بكر الصديق (1934 م)

في التحليل الأدبي (1934 م)

كتاب المحفوظات (وهو كتاب مدرسي) (1936 م)

في بلاد العرب (1939 م)

من التاريخ الإسلامي (1939 م)

قصص من التاريخ (1957 م)

23- مجاهد ديرانية، *علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقيه الأدباء*، ص 27.
24- مجاهد ديرانية، *علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقيه الأدباء*، ص 29
25- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 201/3.

رجال من التاريخ (1957 م)

صور وخواطر (1958 م)

دمشق صور من جمالها وعِبَر من نضالها (1959 م)

في سبيل الإصلاح (1959 م)

قصص من الحياة (1959 م)

مقالات في كلمات (1959 م)

سلسلة حكايات من التاريخ (1959 م)

بغداد مشاهدات وذكريات (1960 م)

فصول إسلامية (1960 م)

فكر ومباحث (1960 م)

مع الناس (1960 م)

من حديث النفس (1960 م)

من نفحات الحرم (1960 م)

هتاف المجد (1960 م)

أخبار عمر وابنه عبد الله بن عمر (1960 م)

الجامع الأموي (1960 م)

صيد الخاطر للإمام ابن الجوزي، تحقيق علي الطنطاوي وأخيه ناجي الطنطاوي (1960م)

سلسلة أعلام التاريخ (1960 م)

تعريف عام بدين الإسلام (1970 م)

فتاوى علي الطنطاوي (1985 م)

ذكريات علي الطنطاوي (وهي ثمانية أجزاء) (1985-1989 م)

قصة حياة عمر (1992 م)

كما نشر حفيده مجاهد مأمون ديرانية بعد وفاته عدداً من الكتب جمع مادتها من مقالات وأحاديث الأديب علي الطنطاوي، التي لم يسبق نشرها وهي:

فصول اجتماعية (2002 م)

نور وهداية (2006 م)

فصول في الثقافة والأدب (2007 م)

فصول في الدعوة والإصلاح (2008 م)

البواكير (2009 م)

2. الخاطرة

1.2. تعريفها:

لغةً: الخاطرة هي مؤنث الخاطر، والخاطر: ما يجول في النفس أو القلب، يُقال: اضطرب خاطره لما سمع من أنباء. مر بالخاطر أي جال بالنفس أو القلب، يعني عن طيب نفس، وهو سريع الخاطر أي سريع البديهة.[26] وعليه: فالخاطر هو ما يجول في نفس الإنسان من أفكار.الخاطر: الهاجس. [27]

الخاطر قد يوافق الواقع أو يكون مجرد تخيلات وهمية للإنسان لا أصل لها في الحقيقة.

والخاطر: ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر، والجمع خواطر، وقد خَطَر بباله وعليه يَخْطُرُ، يَخْطِر (الأخيرة عن ابن جني)، خطوراً إذا ذكره بعد نسيان.[28]

وقد يعني الخاطر التذكر أيضًا.

الخاطر: ما يرد على القلب من هاجس، أو الخطاب الوارد الذي لا عمل للعبد فيه، وما كان خطاباً فهو أربعة أقسام: رباني وهو أول الخواطر، وهو لا يخطئ أبداً، وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع، وملكي وهو الباعث على مندوبٍ أو مفروضٍ، ويسمى إلهاماً، ونفساني وهو ما فيه حظ النفس، ويسمى هاجساً، وشيطاني وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق. [29]

أما اصطلاحاً: تنوعت تعريفات الخاطرة عند النقاد إذ يقول عزالدين إسماعيل في تعريفها:

" فكرة طارئة يتناولها كاتبها بذاتية مفرطة، وعاطفة متدفقة، يكون التأثير الوجداني فيها الطريق للوصول إلى نتيجة معينة. الخاطرة ليست فكرة ناضجة وليدة زمن بعيد، ولكنها فكرة عارضة طارئة، وليست فكرة تعارض الصواب من كل الوجوه، بل هي مجرد لمحة، وليست كالمقالة مجالاً للأخذ والرد، ولا هي تحتاج إلى الأسانيد والحجج القوية لإثبات صدقها ". [30]

والخاطرة: قطعة قصيرة من الكتابة النثرية الحديثة يَلمَحُ الكاتب من خلالها فكرة عارضة سنحت في ذهنه، دون أن تتاح لها فرصة النضج الكافي أو الاكتمال في ذهن صاحبها أو فكره. [31]

26- محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور، *لسان العرب*، ط3، دار صادر، بيروت، 1993، 4 / 350.
27- عبد النور، جبور، *المعجم الأدبي*، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 م، ص 101.
28- محمد بن مكرم، ابن منظور، *لسان العرب*، 4 / 349.
29- محمد التونجي، *المعجم المفصل في الأدب*، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999 م، ص 392.
30- عز الدين إسماعيل، ، *الأدب وفنونه*، ط8، دار الفكر العربي، القاهرة، 2013 م، ص 168.
31- حسني محمود وابراهيم أبو هشهش وصالح أبو إصبع، *فنون النثر العربي الحديث*، ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1995 م، ص 226.

2.2. نشأة الخاطرة:

إن فكرة تحديد المصطلح فكرة صعبة بحد ذاتها؛ لكون هذا الفن الأدبي الحديث لم يأخذ حقه من الدرس، ومن خلال البحث في هذا الموضوع؛ إذ لم نجد كتاباً يخص هذا الفن بالدراسة؛ وبالتالي لم تتحدد دلالات هذا الفن، ولم تظهر أسسه ومبادؤه بشكل واضح.

وعليه نجد تداخلاً وخلطاً بين المفاهيم. ولا بد لنا قبل الحديث عن نشأة الخاطرة، أن نستحضر بعض الأنماط والأشكال الأدبية القديمة، كالأمثال والأقوال السائرة والتوقيعات؛ بوصفها خواطر سنحت لأصحابها بطريقة أو بأخرى، وفي ظرفٍ أو آخر. ولا يمكن أن نعدها بشكل من الأشكال الجذور الأولى للخاطرة؛ وإنما ذكرت هنا لما تمثله من لفتات تتصل بفطرة الإنسان وطبيعته البشرية قبل بروز مصطلح الخاطرة في الكتابة الأدبية الحديثة.

فظروف الحياة المتغيرة تتطلب فنوناً جديدة، يجد الكاتب أشكالها من خلال الأنماط الأدبية التي تناسبه. ونشير بذلك إلى الخاطرة التي خلقتها وفرضتها ظروف الحياة الحديثة، ممثلة بشكل خاص في الصحافة، التي أسمهت في تطور فن الخاطرة، ومن خلالها تبلور مفهومها وخصائصها، مما جعلها تحضى بمكانة مرموقة بين الفنون الأدبية المختلفة تماشياً مع تغيرات الحياة الحديثة مما زاد في قيمتها وسرعة انتشارها، من خلال اتصالها بشؤون الحياة المختلفة، ومشكلاتها اليومية السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

ويمكن القول إنّ ندرة الدراسات حول مفهوم الخاطرة في النقد العربي الحديث، تعود إلى عدم الاعتراف بهذا الفن الأدبي بصفته فناً مستقلاً قائماً بذاته، عدا بعض الإشارات والتلميحات عند بعض النقاد، كعز الدين إسماعيل في كتابه الأدب وفنونه، وقد تداخل عنده مفهوم الخاطرة مع مفهوم المقالة، إذ يقول عن الخاطرة: " من الأنواع النثرية الحديثة التي نشأت في حجر الصحافة، ولكنها تختلف عن المقال من عدة وجوه: فالخاطرة ليست فكرة ناضجة وليدة زمن بعيد، ولكنها فكرة عارضة طارئة، وليست فكرة تعرض في كل الوجوه، بل هي مجرد لمحة ..... بل هي أقرب إلى الطابع الغنائي ... ثم لا ننسى الاختلاف في الطول؛ فالخاطرة أقصر من المقال، وهي لا تتجاوز نصف عمود في الصحيفة، وعموداً من المجلة، وإذا ذكرنا الصحيفة أو المجلة؛ فإنما نذكرهما لنعود لتقرير أن الخاطرة في وقتنا، قد أصبحت عنصراً صحفياً نطالعه في كل جريدة ومجلة، والصحف تعطي هذا العنصر عنواناً ثابتاً؛ لأن الخاطرة تكون عادة – وهي تختلف في

ذلك أيضاً عن المقال – بلا عنوان، من هذه العناوين (فكرة) و (نحو النور) و (شموع تحترق) و (ما قلّ ودلّ) ..... " .[32]

وذهب بعض النقاد إلى القول إنَّ الخاطرة قد تفرعت عن المقالة، وهذا نتيجة الواقع المفروض بظهور الصحافة في كل مناحي الحياة السياسية والثقافية والأدبية. وإنَّها انبثقت بعد نشأة المقالة ونضجت أساليبها ، وممن قال بهذا سيد قطب: " هناك نوعان من العمل الأدبي نطلق عليهما لفظ المقالة، وهما يتشابهان في الظاهر ويختلفان في الحقيقة. فإحداهما انفعالية والأخرى تقريرية، ولعل من الأنسب أن نفرق بينهما في الوصف، فنقصر لفظ المقالة على النوع الثاني، ونسمي النوع الأول خاطرة .... والخاطرة في النثر تقابل القصيدة الغنائية في الشعر، وتؤدي وظيفتها في عرض التجارب الشعورية التي تناسبها ".[33]

للصحافة أثر كبير في نشأة الخاطرة، سواء أكانت فرعاً من المقالة أم مستقلةً عنها فالخاطرة نشأت وتطورت في ظروف الحياة الحديثة بتأثير الكتابة الصحفية، والتأثر بالثقافات الغربية التي كان لها أثر واضح في فنون الكتابة الأدبية العربية الحديثة جميعها.

3.2. أهمية فن الخاطرة:

إن فن الخاطرة له أهميته بين فنون الأدب، فمن خلال هذا الفنّ يدرك القارئ كيفية استخراج ما يجول في خاطره من أحاسيس وعبر روحية، إضافة إلى ذلك يعزز ملكة القارئ الأدبية، والأهم من ذلك ما يترتب عليها من متعة نفسية خصوصًا إن كان البحث يتناول فن الخاطرة عند الطنطاوي.

ونلحظ قلَّة الدراسات التي تناولت فن الخاطرة على أهميته، حيث يعرض لنا فنون الصور التعبيرية ويكشف لنا أحوال الناس السياسية، والثقافية، والاجتماعية، والنفسية المختلفة عبر الزمان والمكان.

وتصور الخاطرة حياة الإنسان الخاصة التي تمرّ بتقلبات شتّى، ولا تتوقف على حالة واحدة، فهو يتأرجح بين الحزن والفرح، والغنى والفقر، واختلاف الفصول، وتعاقب الليل والنهار، ويتنقّل بين النجاح والفشل والقوة والعجز.. وكل هذه المواقف تترك فيه الكثير من الأحاسيس التي لا يستطيع الإفصاح عنها إلا من سلَّط القلم على ما وقع على قلبه من خواطر، والجميل في الخواطر أن الإنسان يُسجِّلُ كل ما يمر بخاطره سواء كان من مذكراته اليومية أو الرسائل المرسلة

32- إسماعيل عزالدين، الأدب *وفنونه*، ص 168.
33- سيد قطب، *النقد الأدبي أصوله ومناهجه*، ط8، دار الشروق، القاهرة، 2003، ص 150.

الى الأحباب والأهل، فالخواطر المسجلة تأخذنا إلى أوقات عشناها في وقتها وعجز القلم أن يأتي بمثلها.

4.2. أهمية الخاطرة عند الطنطاوي

تعد الحقبة الزمنية التي عاشها الطنطاوي - من 1914م وكان عمره خمس سنين إلى أن توفاه الله في سنة 1999 م - من أصعب الحقب التي مرت على الأمة العربية والإسلامية بسبب كثرة الفتن والاضطرابات التي ابتليت بها الأمة، وما أعقب ذلك من محاولات للنهوض من هذا السبات العميق والذي أدى إلى الاصطدام العنيف بثقافات غربية واستعمارية نقلت إليها خيرها وشرها وإيديولوجيات غيرت في تكوين العقلية العربية وأدت الى اختراق عاداتها وأخلاقها وأفكار ألفتها.

وقد كان علي الطنطاوي خلال هذه الفترة عاكفا على القراءة مُسخرًا كل جهوده الفردية والدعوية للنهوض بالأمة وصدّ كل أشكال الغزو الفكري والأخلاقي الذي كان يقدمها، سواء من خلال البرامج التلفزيونية والإذاعية التي كان يقدمها، أومن خلال مؤلفاته وكتبه التي استطاع أن يسجل فيها خواطره الوجدانية والسياسية والاجتماعية بأسلوب أدبي شائق تارة وبروح مفعمة وأحاسيس مرهفة تارة أخرى.

أما أبرز سمات كاتب الخاطرة، فهي كما ذكرها عز الدين إسماعيل: " وهذا النوع الأدبي يحتاج من الكاتب الذكاء، وقوة الملاحظة، ويقظة الوجدان، وهو يتماشى مع الطابع الصحفي العام في الاهتمام بالأشياء الصغيرة السريعة وتفضيلها على الكتابات المطولة ".[34]

وأهميتها تأتي من أنها تستطيع لفت القارئ إلى الأشياء الصغيرة في الحياة، التي لها دلالة كبيرة.

5.2. أنواع الخاطرة:

يمكن لكاتب الخاطرة أن يكتب كل ما يخطر في باله أو يمر في خاطره من أفكار وسوانح في أي موقف أو موضوع، وخاطرته بذلك، هي رأيه الشخصي في ذلك الموقف أو في هذا الموضوع، فشخصية الكاتب حاضرة من خلال خاطرته، على عكس كاتب المقالة الموضوعية. فالخاطرة أقرب إلى الذاتية من الموضوعية.[35]

34- إسماعيل عزالدين، *الأدب وفنونه*، ص 168.
35- حسني محمود وابراهيم أبو هشهش وصالح ابو اصبع، *فنون النثر العربي الحديث*، ص 230.

يمكن أن تكون الخاطرة في أي جانب من جوانب الحياة، وتغطي أي موضوع من الموضوعات التي يمكن أن تخطر على البال أو تمر في الذهن، فهنالك الخواطر الاجتماعية والإنسانية والفلسفية والوجدانية والسياسية والنقدية والتاريخية. ولا بد للخاطرة من مثيرٍ للذات، فتتسم بهذين الطابعين: الشخصية والإنسانية معاً.[36]

وبالرغم من أن الخاطرة من الفنون الأدبية المتميزة بخصائصها المنفردة، إلا أنها قد تتفق في بعض النقاط المشتركة بينها والفنون الأدبية الأخرى، وعليه يجب تمييزها عن بعض هذه الفنون النثرية الأدبية حتى لا يقع القارئ في التباس وخلط بينها ولعلَّ أكثرها اشتراكًا المقال وسنذكر الفرق بينه وبين الخاطرة.

6.2. الفرق بين الخاطرة والمقالة

قبل أن نبيّن فرق المقالة من الخاطرة، لا بد من تعريف قصير للمقالة حتى يتسنى لنا إيجاد الفرق بينهما.

1.6.2. تعريف المقالة:

عرفها الدكتور محمد يوسف نجم أنَّها "قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة سريعة خالية من الكلف والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب"[37].

كما عرف المقالة أيضا سيد قطب بأنها "فكرة قبل كل شيء وموضوع؛ فكرة داعية وموضوع معين يحتوي قضية يراد بحثها، قضية تجمع عناصرها وترتب بحيث تؤدي إلى نتيجة معينة، وغاية مرسومة من أول الأمر، وليس الانفعال الوجداني هو غايتها، ولكنه الإقناع الفكري[38].

من خلال تعريفات المقالة أعلاه، يتضح أنها تعتمد على شكل معين ولها غاية معينة، كما أن أساسها هو إثبات فكرة ما معتمدة على حجج وبراهين، إلا أنها لا تخلو من ذاتية الكاتب وإبراز شخصيته واستخدام جماليات لغوية وصور بيانية مثلها مثل الخاطرة، لذا يمكن أن نذكر الفرق بين الخاطرة والمقالة من خلال الوقوف على نقاط التشابه وكذا الاختلاف بينهما في الآتي:

---

36 - المصدر السابق نفسه.
37 - محمد يوسف نجم، *فن المقالة*، ط4، دار الثقافة، بيروت، ص59.
38 - سيد قطب، *النقد الأدبي، أصوله ومناهجه*، ص92.

2.6.2. أوجه الاشتراك بين المقالة والخاطرة

تشترك الخاطرة مع المقالة إذا كانت الأخيرة تتميز بالانفعالية، فهي تشكل نوعا أدبيا يعتمد على الصياغة الجميلة بعبارات قصيرة مصورة مشرقة، لأنها تقف في هذه الحالة منزلة وسطى بين المقالة الجادة، وهذا النوع من المقالة انتشر كثيرًا في العصر الحديث، إذ نبغ فيه غير قليلٍ من الأدباء نتيجة لازدهار التعليم وانتشار الصحافة وإنتاجها في الموضوعات الأدبية جراء حركات التحرر والتنافس الإبداعي، فكانت الجرائد تتناول حركة الإنسان والمجتمع والبيئة في شرائحها اليومية بنحوٍ خاطف وعابر، متمسكة بانفعالية جمالية ورؤية إنسانية عميقة، لذا كانت الخواطر حاضرة في الصحافة حينها[39].

ويطلق عليها مسمى مقالة الخاطرة لأنها لا تقتضي فقط قدرًا من المعلومات ومناقشتها من جميع الوجوه وإنما هي نقل انفعالات وأحاسيس الكاتب التي خطرت على ذهنه في فترة من الفترات حول قضية معينة وإبداء ملاحظاتِهِ الذاتية العفوية التي تبدأ بسيطة ثم تنمو وتكبر حتى تصبح خاطرة كاملة تكون أشبه بالمقال الأدبي الإنشائي يفرضها موقف خاص، أو التأثر بسبب مشهد ما[40].

لهذا يمكن القول إنَّ هناك الكثير من الخصائص المشتركة بين المقالة والخاطرة، ولعل مقياس الطول والقصر، وعدد الكلمات هو معيار واضح للتمييز بين النمطين الأدبيين، وهذا معيار نسبي لا يمكن الأخذ به كدليل على الفرق بين المقالة والخاطرة لوجود خصائص داخلية تميز بينهما نذكر أهمها في العنوان الآتي:

3.6.2. أوجه الاختلاف بين المقالة والخاطرة

ترتكز الخاطرة على فكرة واحدة تمثل قمة الانفعال، فلا يُطلب من كاتبها تقديم أفكار منطقية أو صور كاملة الأبعاد، كما في المقالة، فلا يكون مطالباً بذكر تفاصيل أو جزئيات.

ويعد الاقتصاد في الألفاظ والأفكار من خصائص الخاطرة، فهو شرط لأداء وحدة الانطباع والتأثير أو خلقها دون أن يشعر القارئ أو الكاتب على أنه نوع من الحذف أو الضغط المقصود[41].

39- محمد البستاني، *الإسلام والفن*، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، 1409هـ، ص 50.
40 - السيد مرسي أبو ذكرى، *المقال وتطوره في الأدب المعاصر*، دار المعارف، مصر، 1982م، ص96 .
41 - حسني محمود وابراهيم أبو هشهش وصالح ابو اصبع، *فنون النثر العربي الحديث*، ص 231.

ونظرا لطبيعة الخاطرة من حيث محدوديتها وقصرها وسرعة الإعلان عنها وعرضها؛ فإنها لا تحتمل التحليل أو التأمل العميق أو تنوع الأفكار وتعددها.

وعلى خلاف المقالة، لا تحتمل كذلك تعدد العناصر وتطويل الخطة، فلا مقدمة ولا عرض مُمَنْطق ولا خاتمة بمعاني هذه الأجزاء التي نلمسها في المقالة، إذ المهم هو عرض فكرة الخاطرة مكثفة ومركزة، بحيث يجمل الكاتب رأيه أو فكرته بمنتهى الإيجاز، وقد يلجأ إلى الإشارة إلى حقيقة الموقف أو الدافع المثير للخاطرة؛ من أجل توضيح الحال، في سبيل إقناع القارئ والتأثير فيه.[42]

فالخاطرة مرتبطة بتأثر الكاتب بشؤون الحياة والناس، ويمكن إجمال أبرز خصائصها فيما يلي: إن الخاطرة تدور حول فكرة واحدة، وتكون قصيرة وموجزة، وأسلوبها مركز، وتعبيرها مقتصد، ولغتها مكثفة، مع عدم الحاجة إلى التأمل أو التحليل العميق، كما قد تحمل في طياتها روح التهكم والسخرية.

42- حسني محمود وابراهيم أبو هشهش وصالح ابو اصبع، *فنون النثر العربي الحديث*، ص 230.

كخلاصة لما سبق يمكننا توضيح المقارنة بين المقالة والخاطرة في الجدول الآتي:[43]

	المقالة	الخاطرة
1	فكرة ناضجة ومدروسة ومعدة ذهنيا.	فكرة عارضة طارئة لا إعداد فيها ولا تنظيم.
2	وليدة التفكير والتأمل والتدبير.	وليدة الانفعال والتوتر والشعور.
3	أداء واع يهدف إلى الإقناع.	أداء انفعالي يهدف إلى التأثير.
4	تلتزم تقليداً معيناً (المقدمة والعرض والخاتمة).	لا تخضع لأي تقليد.
5	تستند إلى الشواهد والتمثيل والتدليل والتعليل لإثبات صدقيه المطروح فيها.	لا شواهد فيها ولا تمثيل؛ لأنها لا تقبل الأخذ والرد.
6	تشغل مساحة أكبر من تلك التي تشغلها الخاطرة.	تكتفي بعمود قصير في صحيفة.
7	تتطلب وضع عنوان مناسب.	لا تتطلب ذلك دائما.
8	يعلو فيها الفكر على العاطفة.	تعلو فيها العاطفة على الفكر.

43- http://www.aoua.com/vb/attachment.php?attachmentid=89127&d=1334146782

بعد أن ذكرنا الفرق بين المقالة والخاطرة سنتطرق إلى ذكر بعض المصطلحات التي لها صلة ببحثنا:

7.2. الذكريات:

عمل أدبي ذاتي، يكتبه المؤلف عن حياته أو حياة شخصية لها مقام سامق. اعتمادا على تسلسل زمني، أو بطريقة تراتبية للأحداث الهامة والبارزة. ويستخدم في الغرب مصطلح " الذكريات " للدلالة على الذكريات المتفرقة المتناثرة، التي يعتمد فيها صاحبها على الاستعادة المباشرة من الذاكرة دون الرجوع إلى وثائق معدة أو مكتوبة تعاضد عملية التذكر، وتنفي عن المادة المتذكرة آثار الزمان وتشويهات الذاكرة والنسيان.

وكاتب الذكريات يعنى في الغالب بتسجيل الحياة العامة، أكثر من عنايته بتسجيل حياته الخاصة. وليست عنايته منصرفة إلى الأفكار والحالات الشعورية، لكنها منصرفة إلى المجتمع والشخصيات والمشاهد والأماكن. والذكريات ليس لها ترتيب واضح يمكن الاعتماد عليه.

8.2. المذكرات:

هي سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف وكان له فيها دور، وقد ذكر الطنطاوي في كتابه الذكريات أن كتابه ذكريات لا مذكرات، إذ يقول: (هذه ذكريات وليست مذكرات. فالمذكرات تكون متسلسلة مرتبة، تمدها وثائق معدة، أو أوراق مكتوبة، وذاكرة غضة قوية، وأنا رجل قد أدركه الكبر، فكلت الذاكرة، وتسرب إلى مكانها النسيان... فقد أنسى الحادثة في موضعها، ثم أذكرها في غير موضعها).

9.2. السيرة:

السِّيرة لغةً هي: السُّنّة والطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره. ويُقال: قرأتُ سيرةَ فلان أَيْ تاريخ حياته[44]، وهي من الأجناس الأدبية التي تحكي حياة الأدباء والأعلام وتترجم لهم، وتروي نوعاً من القصص المعتمد على الذكريات، وأما السيرة الذاتية فهي "قصّة ارتداديّة نثريّة يروي فيها شخص واقعيّ وجودَه الخاصّ مركِّزاً حديثَه في حياته الفرديّة، وبوجه خاصّ في تاريخ شخصيّته"[45].

44- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، دار الشروق الدولية، القاهرة، 1425هـ/2004م؛ ج1 ص467.
45- فيليب لوجون، السيرة الذاتية- الميثاق والتاريخ الأدبيّ، ترجمة وتقديم عمر حلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م؛ ص22.

10.2. فرق المذكرة عن السيرة:

تختلف المذكرات عن السيرة الذاتية بأنها تخص العصر وشؤونه بعناية كبرى، فتشير إلى جميع الأحداث التاريخية التي اشترك المؤلف فيها أو شهدها، أو سمع عنها من معاصريه، وأثرت في مجرى حياته.

كما أن المذكرات من حيث المادة التي تحتويها أوسع مدى من السيرة الذاتية، فهي تستطيع أن تستوعب الأحداث الخاصة التي يهتم بها كاتب السيرة الذاتية، كما أنها تهتم برصد الأحداث التاريخية وتسجيلها.

والسيرة الذاتية أقرب إلى الحديث عن النفس كونها تعكس ما في الذات، أما المذكرات فهي أقرب إلى التاريخ إذ أنها وثيقة تنقل لنا ما قام به صاحبها كصانع للتاريخ أو شاهد عليه.

فبين هذه المصطلحات الثلاث (الذكريات والمذكرات والسيرة) عموم وخصوص، فهي تتوافق في أنها تركز على السرد والقصّ للأحداث، ثم تختلف في طبيعة هذه الأحداث هل هي ذاتية أو غيرية، وهل هي مرتبطة بتراتبٍ زمني معين، أم أنها تتخطى هذه التراتبية.[46]

11.2. أشهر كُتَّاب الخاطرة:

لا يمكن القول إنّ هناك كتّاباً متخصصين في هذا النوع من الكتابة، على غرار بقية الأنواع والفنون الأدبية الأخرى، بل نجد أنّ كتّاب تلك الفنون يلجؤون إلى كتابة الخاطرة؛ نتيجةً لبعض الظروف والمواقف الحياتية التي يتعرضون لها، ومن أبرز من عرفوا بكتابة الخاطرة: مصطفى صادق الرافعي، وطه حسين، وعباس محمود العقاد(في بيتي)، وجبران خليل جبران(النبي)، ومي زيادة (باحثة البادية)، والمازني،(قيض الريح) وخليل السكاكيني(كذا أنا يا دنيا)، وأحمد شاكر الكرامي(الكرميات)، وأحمد أمين،(فيض الخاطر) وصاحبنا علي الطنطاوي،(الذكريات) وغيرهم الكثير.

وفي هذا البحث سنتناول موضوع الخاطرة عند علي الطنطاوي وهو من روَّاد الكتابة في الادب العربي الحديث، فنأمل من الله أن يوفقنا كي نلم بهذا البحث ونوفيه حقه.

46- انظر: عبد الله سواس، *الذكريات في الأدب العربي*، رسالة ماجستير، جامعة يوزونجو يل، وان، تركيا، 2017، ص19-22.

الفصل الأول

البنية الموضوعية للخاطرة عند الطنطاوي

1. البنية الموضوعية للخاطرة عند علي الطنطاوي:

لقد كان عصر الطنطاوي مليئاً بالتحولات والتغيرات في السياسة والمجتمع، وكان أبناء عصره مُلمّين بالفنون الأدبية الحديثة كالرواية والقصة القصيرة والخاطرة وغيرها من الفنون.

وبين هذا وذاك ظهر تيار الأدب القومي، الذي دعا إلى تسخير كل الفنون الأدبية لخدمة القضايا العربية والقومية، وعلى رأس تلك القضايا التحرر من الاستعمار.[47]

ومن يريد أن يكتب ويعبّر عن الموضوعات الخاطرة عليه أن يحسن التعبير في هذا الفنّ، ويكون له صلة قوية مع الأدب، إذ يقول علي الطنطاوي: " الأدب في الأمة لسانها الناطق بمحاسنها، الذائد عن حماها، وقائدها إلى مواطن الفخر، وذرى مجدها .... إن الأدب لا يجدي إن لم يكن أدب الحياة، ولا يكون أدب الحياة حتى يُحكِم صلته بها، ويداخلها، فيعرف مواطن الخير فيها فيدل عليه، وأماكن الشر فينفر منها ".[48]

وقد عايش هموم الناس ومعاناتهم في تلك الفترة، فحاول حلّ مشكلاتهم بدعوتهم للرجوع إلى دين الإسلام، محاولاً إصلاح المجتمع الذي فسدت عاداته وتقاليده.

هذا كله جعل علي الطنطاوي يدعو إلى مقاومة المستعمر وإصلاح المجتمع، فكانت جلّ كتاباته في السياسة والدين والاجتماع والأدب والنقد والفكر، ومن خلال قراءة بعض كتابات علي الطنطاوي أمكنني تقسيم موضوعات الخاطرة عنده إلى الخاطرة الاجتماعية والخاطرة السياسية والخاطرة الوصفية والخاطرة الوجدانية.

1.1. الخاطرة الاجتماعية

الخاطرة الاجتماعية قوامها نقد العادات والتقاليد البالية التي ترسبت في المجتمع على مدى الدهور، وتتناول الأزياء الطارئة والبدع المستحدثة من التغيرات التي فرضتها.

وسبب شيوع هذا النوع من الخواطر هو ما يطرأ في المجتمع من تغييرات تفرضها الحضارة الجديدة في الأزياء والعادات والأخلاق ووسائل اللهو والتسلية والصراع بين القديم والحديث، وذلك من خلال تباين الآراء بين الآباء والأبناء من عادات وتقاليد؛ لذا يجب على الكاتب أن يكون دقيق الملاحظة، وأن يمتلك قدرة على إحكام الوصف وإجادة التحليل.[49]

47- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 289/2.
48- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 205/2.
49- محمد يوسف، نجم، *فن المقالة*، ص 75.

وقد عمل الطنطاوي من خلال كتاباته على حل قضايا المجتمع، ومعالجة المشكلات؛ لكي يعيد للمجتمع توازنه بعد أن ضاعت القيم والأخلاق وتفشت في المجتمع العادات السيئة، محاولاً رد كل شيء إلى أصله الإسلامي، فكانت خواطره محاولةً منه لإصلاح المجتمع والعودة به إلى الطريق الصحيح طريق الإسلام.

الشباب:

اهتم بقضايا الشباب وشاركهم آمالهم وتطلعاتهم، بوصفهم القوة الفاعلة والمؤثرة في المجتمع، فهم مستقبل الأمة وأملها في السير نحو التحضر والنجاح.

وكما ذكرنا سابقاً، فقد كان نصحه يسير على النهج الإسلامي محاولاً بناء شباب مُلِمّين بأمور دينهم، بعيدين عن التلوث الفكري والاضطراب العاطفي، يقول: " الشباب يا سادتي، الواحة الفريدة في صحراء الحياة، وهو الربيع في سني العمر، هو البسمة الوامضة على ثغر الزمان القاطب، لست أعني هذا الشباب الغض الغريض[50]، الحلو، الناعم، الذي يجرح خديه لمسُ النسيم، ويدمي بنانه مسُّ الحرير، والذي ترق عنده الحياة، حتى تسيل من العيون نظرات ساحرة مغرية، وتدق جلائل الأعمال فيها حتى يستحيل إلى فكرة تطير كالفراشة بين أزهار الجمال في روضة الحب، أو نسمة معطرة تهب من حواشي فتاة فتانة، أو قبلة فيها خمر وعسل، تجمع لذائذ الدنيا في رشفة مسكرة .... وإنما أعني الشباب الحي العامل، القوي، المتين، الذي وضع له غاية في العيش أبعد من العيش، ونظم نفسه حلقة في سلسلة شعبه، واتخذ له مطمحاً، ومثلاً عالياً، ثم عمل على بلوغه، وألقى في سفر حياته الراء بين الحاء والباء! وهل الحياة إلا حرب دائمة ونضال مستمر، وتنازع على البقاء وتسابق إلى العلا". [51]

الحياة عند علي الطنطاوي صحراء قاحلة والشباب فيها واحة خضراء، وهم فصل الربيع من أيام السنة فيه تزهو وتزهر الدنيا في الربيع، وهو لا يقصد في خاطرته ذلك الشباب الذي تتلاعب به الحياة كما تشاء، والذي لا يستطيع الصمود في وجه الفتن والمصائب، ويقلد ويتتبع كل شيء يراه ويسمعه.

فالشباب كما يراه علي الطنطاوي، هو الشباب القوي العامل، الذي لا تكون غايته مجرد العيش فقط، بل يطمح لأن تكون له بصمته في هذه الحياة، وهدف يرنو إليه ويجاهد للظفر به.

50- الغريض: الطري، يقال: لحم غريض، ينظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 452/8.

51- علي الطنطاوي، *فصول إسلامية*، ط7، دار المنارة، جدة، 200 م، ص 36- 37.

المرأة:

الحياة ساحة حرب، والشباب هم الجنود الصامدون في هذه الحرب، المصارعون من أجل البقاء، على أن هذا الشباب المتحمس المبدع يحتاج إلى إعداد وتربية، وهنا يبرز دور المرأة الّذي كان له نصيبٌ في أدب الطنطاوي، فقد دعا إلى أن تكون المرأة ملكة في بيتها عليها أن تتعلم ما يصلح بيتها وأولادها، عندها يمكن أن تجد السعادة الحقيقية، فالمرأة هي من تصنع المجتمع وتربي الأجيال، وعليها ألا تترك أنوثتها، لتتصارع مع الرجال في ميادين العمل، بل يجب أن تكون ملكة في بيتها، يقول: " لا تزال المرأة غالبة ما حاربت بالأنوثة، فإن زهدت فيها وحاولت أن تجاري الرجل في ميدانه وتسابقه في حلبته، وتقاتله بسلاحه، اصطكت ركبتاها، وكلت قدماها، وعجزت يداها، وسقطت ... ".[52]

وخواطر الطنطاوي فيها الكثير من الحديث عن المبادئ والأخلاق والسلوك؛ وذلك لأنه عاين فساد المجتمع وترديه، وهو ابن ذلك المجتمع، محاولاً من خلال تلك الخواطر النهوض بمجتمعه، وهو الذي يعرف الحدود والواجبات، فهو يحب أن يضع كل شيء في مكانه؛ لأنه كان يسعى لأن تتبوأ الأمة الإسلامية مكانتها بين الأمم بعد التردي الذي وصلت إليه.

لكن هذه الأمور لا تتحقق بهذه السهولة، مع وجود هذا الواقع المرير وهذه الصور والعادات التي إن صح القول إنها تأصلت في المجتمع بعد هذا الانحطاط. ويحاول الطنطاوي بكل مقدرته أن يصحح تلك الأخطاء التي شاعت وانتشرت في المجتمع من خلال قلمه وأدبه، لدرجة أنه يلجأ إلى السخرية والتهكم بهذه المفارقات التي حلَّت بالمجتمع، فتتدفق السخرية ممزوجة بالألم، لينة حاملة في طياتها الرحمة، إلى جانب النقد والإصلاح. فنراه يتحدث عن الغني والفقير وأنواع اللذات التي يشعران بها في الحياة، فيقول: " إن الفقير الذي ينام في كوخ الطين، ويأكل خبز الشعير، ويمشي بالحذاء البالي، أو يركب عربة النقل التي يجرها الحمار، يتصور أنه لو نام يوماً على فراش الغني أو أكل على مائدته أو ركب في سيارته، لنال اللذائذ كلها، ولكن الغني الذي ألف ذلك لم يعد يجد فيه لذة، بل يجد الألم إن فقد منه شيئاً.... إن لذات الدنيا مثل السراب، ألا تعرفون السراب؟ تراه من بعيد غديراً، فإذا جئته لم تجد إلا الصحراء، فهو ماء ولكن من بعيد".[53]

فالفقير الذي لا يملك من لذات الدنيا شيئا، إذا حصل على لذة مما يملك الغني، حسب أنه ملك الدنيا، أما الغني فهو يتألم لفقد لذة من لذات الدنيا التي يشبهها الكاتب بالسراب.

52- علي الطنطاوي، *قصص من الحياة*، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م، ص200.
53- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م، ص 7.

لم يترك مشكلة من المشكلات الاجتماعية إلا وتناولها بالبحث محاولاً إظهارها بمحاسنها ومساوئها، حتى يصل بمجتمعه إلى أرقى درجات الكمال. والأوضاع الاجتماعية المتردية في ذلك الوقت، حفزت الطنطاوي على المشاركة في معالجة تلك الآفات الاجتماعية التي ظهرت في عصره وتفشت، بما أملى عليه عقله وخاطره. كان يرى أن معالجة هذه القضايا والمشكلات أمانة وواجب عليه القيام به، فيقول: " إن لم نجد في عصرنا من المصلحين، كالذين كانوا في الصدر الأول، فلا أقل من أن نتشبه بهم، ونسلك سبيلهم فنصيح بالناس بقدر ما في حناجرنا من قوة، ندعوهم إلى الإصلاح وندلهم على طريقه ".[54]

الزواج:

لا يكاد يخلو كتاب من كتبه من معالجة بعض القضايا الاجتماعية، كمشكلة الزواج وغلاء المهور وما يترتب على ذلك من مشاكل أخرى لها تأثيرها البالغ على المجتمع، وهذا مقتطف من حديثه: "والخلاصة أن في البلد مشكلة زواج، وأن هذه المشكلة مرتبطة بمشكلة الفساد والأخلاق، ولا تحل إحداهما إلا بحل الأخرى، وأن سببها نظام التعليم أولاً، ثم هذه العادات في المهور والحفلات والهدايا، وهذه التكاليف التي لا تحتمل، ثم ترك المتزوجين أحكام الشرع حتى حل الخصام فيهم محل الوئام، ثم فقد الوسطاء واختيار الخاطب الفتاة التي لا تناسبه ولا تقاربه، وتفضيله فيها الجمال على الكمال، وتفضيله على الدين فيها المال، وعلى الخلق والحشمة الإغراء والدلال" .[55]

التعليم والتربية:

أما جلّ اهتمام الطنطاوي فكان ينصب على إصلاح التعليم والتربية الصحيحة، وهو الذي أمضى وقتاً طويلاً من حياته في مجال التعليم وكان من أفضل المعلمين في وقته، فنراه في ذكرياته يحكي عن تجربته في هذا القطاع قائلا: " بدأت التعليم منذ إحدى وستين سنة من سنة 1345 هـ.

وأنا أحمد الله على أني كنت معلماً ناجحاً لا أقول عن نفسي وحدي، بل يشهد به تلاميذي على مدى إحدى وستين سنة".[56] لقد كانت له تجربة طويلة في مجال التعليم، وأعتقد أنّ قلة من المدرسين حصّلوا تلك التجارب الطويلة في التعليم إضافة إلى تعدد البلاد العربية التي درس فيها، فقد عمل في بغداد والبصرة وكركوك والقاهرة وبيروت ودمشق ومكة وجدة.

54- علي الطنطاوي، *في سبيل الإصلاح*، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م، ص 21.
55- علي الطنطاوي، *مع الناس*، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م، ص 86.
56- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 288/2.

وكان منهجه في التربية والتعليم يقوم على المنهج الإسلامي؛ لأنه أراد بناء جيل من الشباب المتعلم المسلم المتمسك بدينه، فالشباب تربى على مناهج التربية الحديثة التي لا تمت للإسلام بصلة.

ولم تخلُ كتاباته من الحديث عن ضعف التعليم وضعف الطلاب وعدم قدرتهم على تعلم علوم العربية المختلفة، فيقول: " شيء آخر لعله من أسباب ضعف الطلاب في الدروس كلها وفي العربية على التخصيص، أخشى إن قلت الحق فيه أن أغضب ناساً مالي إلى إغضابهم رغبة، هو أن الاهتمام بالشيء بمقدار الحاجة إليه، وتعرف الحاجة إليه بمقدار الخسارة في فقده، ونحن بحاجة إلى من يعلم أولادنا، ومن يداوي مرضانا، ومن يضمن إقامة العدل فينا، ويؤدب الجانحين والمجرمين منا. ونحتاج قبل ذلك إلى من يدلنا على طريق النجاة في آخرتنا والوصول إلى رضى ربنا.

فهل إدخال الكرة في شبكة الملعب أهم من هذا كله .... فلماذا نهتم بهذا اللاعب أكثر من اهتمامنا بالطبيب والمدرس، وبالأستاذ والواعظ؟ وكيف نرغب الطلاب في القواعد والإملاء، وهم يرون هؤلاء ينالون من التكريم أكثر مما يناله الخليل والمبرد وأئمة اللغة أجمعين، لو بعثهم الله القادر على كل شيء من قبورهم فمشوا بيننا وعاشوا معنا؟ " .[57]

عدم الاهتمام بمن يبدع في مجال العلم والتعليم والاهتمام بمن يبدع في مجالات أخرى جعل أكثر الطلاب يتجهون نحو مجالات أخرى كالرياضة وغيرها على حساب تحصيله العلمي الذي إن تفوق فيه فلن يحصل على ما يحصل عليه متفوق في مجال آخر، وهذا برأي الطنطاوي أحد الأسباب المهمة في ضعف الطلاب.

أما المعلم فله الدور الأكبر في تنشئة الأجيال وتربيتهم وتعليمهم، فالمعلم هو الذي ينقل طلابه من الجهل إلى العلم حتى يتابعوا طريقهم إلى القمة، فيكون جسراً يعبر الطلاب من خلاله إلى ميادين الحياة المختلفة؛ ولهذا يجب ألا نتغاضى عن هذا الدور العظيم الذي يقوم به المعلم، إذ يقول الطنطاوي: "عمل المعلم ـ يا أيها القراء ـ مثل وادٍ بين جبلين، في وسطه جدول صغير، لا يستطيع السائح أن يصل من جبل إلى جبل حتى يقطع الجدول، وليس على الجدول جسر؛ ليجتاز الناس من فوقه، فقام عليه من يجيز المسافرين، ينقلهم من ضفة إلى ضفة حتى يصل بأحدهم إلى الجانب الآخر، ثم يؤم الجبل صُعُداً، فيبلغ منهم ناس عاليَهُ وهو لا يزال في مكانه ".[58]

57- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 375/8.
58- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 143/5 - 144.

العدالة الاجتماعية:

كما دعا الطنطاوي إلى العدالة الاجتماعية وعدم اتساع الفوارق الطبقية في المجتمع من خلال إحسان الأغنياء للفقراء، وتأمين العيش اللائق للفقراء، وتوفير بعض متطلباتهم، كون البشر دون متساوين في الدين، فيقول: " ولسنا والله شيوعيين ولا اشتراكيين، ولا يرانا الله ندعو إلى هذه اللعنة الحمراء، ولا نؤلب الناس بعضهم على بعض، ولكننا ندعو إلى الشعور الذي لا يكون الإنسان إلا به إنساناً، والإحسان هو شعبة من شعب دين الإسلام .....

فمن اختار من الأغنياء وأرباب المرتبات الضخام ألا يكون إنساناً، ولا مسلماً، فليفعل، فإن في جهنم مثوى ومتسعاً للمتكبرين ".[59]

وقد ذمّ العادات السيئة التي انتشرت في عصره ومنها التقليد المفرط للغرب في المأكل والمشرب والملبس والكلام وغيرها، ورفض كل ما هو من عادات الشرق الأصيل، فيقول: "ويحقرون العادة من عاداتنا، فإن علموا أن شعباً من شعوب أوروبا الراقية أو أمريكا قد اعتادها عظموها، كأنَّ الخير لا يكون خيراً لذاته بل للماركة الإفرنجية عليه، والشر لا يكون شراً لذاته بل للطابع الشرقي عليه، وكأن كل إفرنجي خير من كل شرقي؛ لأنهم أقوياء ولأننا ضعاف.

ومن هنا كل ما نرى من مظاهر التقليد السخيف للإفرنج، حتى فيما لا مجال للتقليد فيه، كالحب والبغض والطرب، ودعوى هؤلاء القوم كذباً أنهم يطربون لسمفونيات بيتهوفن أكثر مما يطربون لغناء أم كلثوم .... ومن هنا ليُّ ألسنتهم باللسان الفرنسي أو الإنجليزية، وتركوا العربية لسان أمتهم .... ومن هنا ما نشكو من ضياع مجدنا، فأعيدوا لنا ثقتنا بأنفسنا واعتزازنا بعروبيتنا وشرقيتنا وخلائقنا، ولنأخذ بعد ذلك كل نافع نجده عند الأمم؛ لنقتبس علومهم وفنونهم والصالح من عاداتهم؛ ولنتعلم ألسنتهم ولندرس آدابهم، ولنسمع موسيقاهم بشرط أن يسلم لنا ديننا ولساننا ".[60]

فهو لا يرفض العادات الغربية كلها، ولا يدعو إلى عدم تعلم اللغات الأجنبية ولا الاستماع إلى الموسيقى الغربية، بل علينا الاختيار والانتقاء لما هو صالح لنا وموافق لعاداتنا وديننا، حتى نستطيع العودة بالأمة إلى سابق عهدها ومجدها.

59- علي الطنطاوي، *في سبيل الإصلاح*، ص 119.
60- علي الطنطاوي، *مقالات في كلمات*، ط3، دار المنارة، جدة، 2003م، ص 160 - 161.

الأخلاق:

وللمبادئ والأخلاق والقيم حظ من خواطر الطنطاوي وهو ابن هذه الأمة، يعيش واقعها المرير الذي ضاعت فيه القيم واندثرت المبادئ وتبخرت الأخلاق، فحمل على عاتقه هم إصلاح الأمة وإعادة القيم والمبادئ والأخلاق إلى ما كانت عليه قبل تردي الأمة، فطالب بالعودة إلى الأخلاق الإسلامية التي حصلها الغربيون وضيعناها نحن، يقول: " ... ونعود بأخلاقنا الإسلامية التي قبسها منا الغربيون فأفلحوا ونجحوا .... " .[61]

أما إضاعة الوقت فهي علة العلل، فقد صرنا نعمل جاهدين على إضاعة الوقت وهدره في غير نافعٍ، على حين استثمر الغربيون الوقت ولم يضيعوا الدقيقة منه في غير نافعٍ لأممهم، يقول: " ... ومن هذه الأخلاق أننا لا نعرف قيمة الوقت، وأنَّا نضيع أوقاتنا سدى، وتضيع أعمارنا عبثاً لا نعرف لها قيمة وهي أثمن ما نملك. وإذا كان فينا من يحسن الاستفادة من وقته، وينفقه في علم أو أدب أو شيء مما ينفع الناس، لم يعدم من الثقلاء من يضيع عليه وقته، ويسرق عمره ولا يتوهم أنه أساء، وما أظن في القراء من لا يذكر حادثة في هذا الباب .... هذه علة أخرى من عللنا الأخلاقية، لا شك في أنها من أشدها وأدواها؛ لأن حفظ الوقت آكد وسيلة إلى النجاح، وخير طريقة لرفعة الفرد والمجموع....".[62]

نبذ الأنانية:

كما دعا الطنطاوي في كتاباته إلى ترك الأنانية وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، فمصلحة الفرد في مصلحة المجموع، وهذا يدفع إلى رِفعة الأمم وتقدمها، واحترام النظام وإطاعة القوانين والصدق وكل هذا لم نعد نراه في مجتمعاتنا؛ لهذا فقدت الأمة مكانتها.

وتردّي هذه الأخلاق وغيرها بين أفراد المجتمع، جعل علي الطنطاوي يلجأ إلى التشجيع والترغيب لمعالجة هذه العلة من خلال ذكر بعض الفضائل التي حث عليها الإسلام كالوفاء والأمانة والصدق وبر الوالدين، يقول: " تحمل الأم وليدها تسعة أشهر في بطنها، تحويه بين أحشائها، وتغذيه من دمائها، حتى يكون منها كأحد أعضائها، ثم تضعه كرهاً عنها ينتزع منها انتزاع روحها من بين جنبيها .... ويكد الأب ليريح ولده، ويشقى ليسعده ولا يعمل إلا له، ولا يجمع المال إلا ليغنيه، ولا يجد في الدنيا مكافأة أكبر من أن يعود من شغله محطماً مهدماً فيجد

61- علي الطنطاوي، في *سبيل الإصلاح*، ص 108.
62- علي الطنطاوي، في *سبيل الإصلاح*، ص 110.

طفله يرقبه يناديه: بابا، ويهرع إليه ويلقي بنفسه عليه فيغيب في ذهلة لذة [63]، تنسيه تعبه ونصبه وترجع إليه نشاطه .... لا والله ليس على ظهر الأرض مجرم أشد لؤماً، وأخس نفساً، وأولى بالمهانة، وأبعد عن الإنسانية، وأحق بلعنة الله والناس: من ولدٍ يسيء إلى أمه أو يغضب أباه**!** ".[64]

فخواطر الطنطاوي جلها إن لم تكن كلها تدعو إلى الإصلاح، فهو المرشد والمصلح الذي يحاول إصلاح ما فسد من أخلاق ومبادئ وقيم وسلوك هذه الأمة؛ لتعود إلى مكانتها الرفيعة العالية بين الأمم.

وهكذا رأينا الطنطاوي في موضوعاته الاجتماعية يتنوع بين الحديث عن مشكلات مجتمعه العامَّة كالتفاوت الطبقي، ويشرح مشكلات التعليم، ويبيّن مواضعَ الضعف في شباب الأمة، ويفضح العادات السلبية التي تفشَّت في المجتمع.

63- ذهِلَ الشَّيءَ/ ذهِلَ عن الشَّيء :ذهَله؛ نسيه، وغفل عنه من شدّة الدهشة أو الكرب. ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008 م، 826/1.

64- علي الطنطاوي، *مقالات في كلمات*، ص 39 - 40.

2.1. الخاطرة السياسية

كان للحياة السياسية التي عاشها الطنطاوي في مراحل حياته كافة، بأحداثها وتقلباتها لها أثرها الواضح في أدبه من خلال مقالاته وخواطره، وقد صور هذا كله في صورة مجملة للأحداث السياسية التي عايشها طيلة مراحل حياته، يقول : " ذلك أننا شهدنا في سنتين اثنتين مولد انقلابين، وموت حكومتين، أدركنا عهد الترك ورأينا ذهاب الترك، وعشنا في حكم فيصل، وأبصرنا انهيار حكم فيصل، فكانوا كلما جدت حكومة ونحن في الصف الخامس أعادونا إلى الصف الرابع، فلم نستقر في الصف الخامس إلا سنة 1921م، على عهد الفرنسيين، وقد كنا فيه سنة1918م، على أيام العثمانيين".[65]

كانت حياته مليئة بالأحداث والثورات والانقلابات، فقد أدرك العهد العثماني ، وحكم الملك فيصل ، والانتداب الفرنسي، وعهد الاستقلال ،والوحدة العربية ، مع ما لكل عهد من العهود من المآسي والأهوال والظلم والجور، وكان كل عهد من تلك العهود يحمل أفكاراً جديدة وعادات لم يألفها الناس من قبل، وأحزاباً سياسية متصارعة على السلطة، إلى جانب هذا كله ظهرت أفكار جديدة تدعو إلى محاربة الفساد والظلم والاستعمار والنهوض بالأمة العربية لتعود إلى سابق عهدها، وكان الطنطاوي ممن حملوا هذه الأفكار وتأثر بكل تلك الثورات والانقلابات، فتركت أثرها على شخصية الطنطاوي، فيتحدث عن الحرب قائلاً : " لقد تبدلت الأرض غير الأرض، والناس غير الناس، وما كنا نظنه من المستحيلات صار حقيقة واقعة. ومالي أعمد إلى التعميم قبل التخصيص، والفلسفة قبل القصة .... وكانت الحرب في نهايتها، ولكني لا أعرف منها إلا ما يعرف تلميذ يقيم في بلد بعيد عن الحرب وأهواله، وإن لم يكن بعيداً عن آثار الحرب، كنا نرى آثارها في الطرق الخالية من الرجال؛ لأن الرجال سيقوا كرهاً إلى معركة كانوا يحسون أن ليس لهم فيها ناقة ولا جمل، وأنها ليست جهاداً في سبيل الله، ولا دفاعاً واجباً عن الأرض ولا عن العرض؛ لذلك كانوا يفرون منها .... وكان الخبز من النوادر، والأفران مغلقة الأبواب وما فيها إلا كوة صغيرة، يزدحم عليها الناس؛ ليأخذوا أرغفة من الخبز الأسود .... " .[66]

فالحرب تركت أثرها في الناس كلِّهم، كبيرهم وصغيرهم، ومثقفهم وعاميّهم، ورغم هذا الوصف للحرب إلا أن الطنطاوي يثني على العثمانيين، إذ يقول: " ولست أعني أن حكم العثمانيين كان شراً، ولست مع هؤلاء المغفلين الجاهلين الذين يقولون (الاستعمار العثماني) كما يقولون (الاستعمار الفرنسي) و (الاستعمار الإنجليزي). فلقد كان العثمانيون الأولون ملوكاً مسلمين،

65- علي الطنطاوي، *دمشق صور من جمالها وعبر من نضالها*، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م، ص 140.
66- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص256 - 257.

رفعوا راية الدين، وفتحوا لها ربع أوروبا، وأقاموا للإسلام ثالث الدولتين الكبرتين، دولة بني أمية والدولة العباسية وكان منهم ملوكٌ عظام، كالفاتح والقانوني سليمان. ولكن خلف من بعدهم خلف كانوا شراً علينا وعلى قومهم، هم الاتحاديون، بل لقد بدأ الفساد في عهد السلطان محمود، الذي أخذ قوانين أوروبا، وترك أحكام الشرع ".[67]

فسبب فشل الحكم وانهيار الدولة هو الابتعاد عن أحكام الشرع الإسلامي وعدم الأخذ بالقوانين والأحكام الإسلامية، واستبدالها بقوانين وأحكام وضعها الكفار والملحدين.

كما كان له دور كبير في تحريض الشعوب لمقاومة الاستعمار، وحمل السلاح في وجهه، فكل منا قادر على حمل السلاح، وكل يحارب بسلاحه؛ حتى ولو لم تكن عصا فبالأيدي، وإن لم يكن هذا فسلاح العلم والأخلاق مع قوة المال والعتاد، فيقول: " فإلى السلاح جميعا، إلى الحرب. وإن فقدتم السلاح فحاربوا بالعصي، وحاربوا بأيديكم، واطلبوا الموت يعجزون عنكم؛ لأنهم لا يستطيعون أن يقتلوا عشرين مليونا تريد الموت. وقبل حرب الميدان، حاربوهم بالعلم وبالأخلاق وبالدستور الاقتصادي الصحيح، وأعدوا لهم كل أنواع القوى: قوة الجسم، وقوة العقل، وقوة القلب، وقوة المال، وقوة الجيش ".[68]

قضية الاستقلال:

لقد كان الطنطاوي حريصا على أن يكون أدبه؛ لخدمة قضايا الاستقلال والنضال؛ من أجل التحرر من الاستعمار ومناهضته، فشارك إخوانه باللسان والقلم في الدفاع عن وطنه، وقد انتخب رئيسا للجنة العليا لطلاب سورية لمدة أربع سنوات، وكانت هذه اللجنة بمنزلة لجنة تنفيذية للكتلة الوطنية، التي قادت النضال ضد الفرنسيين. وكانت سورية حينها تعيش إلى جوار بركان يفور حينا ويهدأ حينا، عند غليانه كانت تفتح أبواب جهنم للمستعمرين، فيقول: " يا أمة الحرية، يا فرنسا، اسمعي! فإني لا أجمجم الكلام ولا أديره على وجوهه التي ترضين عنها خوفا وطمعا، فقد والله يئست حتى ما في نفسي مكان لأمل ولا متسع لخوف، وما بعد الذي كان يوم الأحد أمل ولا يأس ولا خوف، لقد قضي علينا أن نهبط من عليائنا، وأن نسلب حريتنا، ونفقد استقلالنا، ولكنه لم يأت بعد، ولن يأتي أبدا ذلك اليوم المشؤوم الذي نخسر فيه إيماننا وشرفنا ... وبعد أيها الأقوياء:

67- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 258 - 259.
68- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م، ص 82.

إن الهرة إذا حبست وضويقت انقلبت لبوة، والبركان إذا سدت فوهته كان الانفجار، والشعب إذا اسْتُذِلَّ ثار، والنار ولا العار، وللشهداء عقبى الدار، وستردون إلى الله الملك الجبار " .[69]

كما وقف إلى جانب المتظاهرين وشجعهم وحثهم على متابعة طريقهم حتى ينالوا حريتهم واستقلالهم، إذ يقول: " لقد اتضح الأمر وظهر الخبيء، وعلمنا أن الحارس لص، والحامي غاصب، ولكن دمشق لم تمت، كلا بل هي حية تدافع عن حقها، وتبذل مهجتها في سبيل حريتها".[70]

فهذه القضية ـ قضية المستعمر ـ من أهم القضايا التي عمل الطنطاوي عليها في أدبه، فهو ابن الشام التي احتلها المستعمر، فوجب عليه إثارة الشعب للوقوف في وجهه. وبعد كل هذا النضال إن كان بالسلاح أو باللسان أو بالقلم جاءت فرحة الجلاء، فيقول معبّرًا عنها: " يوم الفرحة الكبرى، إنه اليوم الذي كان يتمنى كل شامي أن يراه ولا يبالي إذا رآه أن يموت من بعده، إنها الغاية التي سرنا إليها خمسا وعشرين سنة وتسعة أشهر، نطأ الحرب ونخوض اللهب، نمشي في الدم، ونتخطى الجثث، وننشق البارود. إنها الأمنية الكبرى التي كان يتمناها كل سوري وكل عربي وكل مسلم: إنه يوم الجلاء ".[71]

القضية الفلسطينية:

أما القضية الفلسطينية فكانت القضية الشاغلة للطنطاوي في خواطره، ففلسطين عنده لم تذهب لقوة اليهود؛ لكنها ذهبت بتخاذل العرب والمسلمين وانقسامهم، يقول في ذلك: " إنه ليس في تاريخ الظلم والعدوان مثل قضية فلسطين، ولا في تاريخ التخاذل والانقسام وقلة الاهتمام مثل موقفنا من قضية فلسطين، ولا في تاريخ التعاون على الإثم والعدوان مثل موقف الدول في غرب الأرض وشرقها من قضية فلسطين".[72]

وقد حمل الطنطاوي لواء الدفاع عن قضية فلسطين بقلمه، إذ نالت هذه القضية حيزًا كبيرًا من أدبه، وفي عام 1954 م اختير الطنطاوي عضوا في اللجنة التي اختارها مؤتمر القدس الإسلامي لنصرة فلسطين. فانطلق يجوب الآفاق يتحدث في المحافل نصرة لتلك القضية.

بدأ من القدس ثم إلى عمان ومنها إلى بغداد ثم إلى كراتشي حتى وصل إلى آخر باكستان الشرقية وغيرها من البلدان والعواصم يدعو العرب والمسلمين لمساندة الشعب الفلسطيني بالدم

69- علي الطنطاوي، *البواكير*، ط3، دار المنارة، جدة، 2003م، ص 201.
70- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 178 - 179.
71- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 273/8.
72- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 2 / 282.

والمال والفكر. ففلسطين الضائعة لن تكون لقمة سائغة في أفواه اليهود يبتلعونها متى أرادوا، بل هي شوكة وسكين بأربع زوايا من أراد ابتلاعها فقد حكم على نفسه بالموت، فيقول في هذا: " خسئتم يا حلفاء الشيطان ..... والله ما فلسطين بالشاة ولكنها القنفذ على ظهرها الشوك، إنها السكين المشحوذة ذات الأربع شعب، إنها زجاجة السم الناقع، فليتقدم لابتلاعها من شاء أن ينتحر".[73]

الذي حلّ بفلسطين شيء عجيب، لم يحدث على مر العصور أن طُلب من رجل أن يخرج من داره لينام خارجها مشردًا مسكينًا، وينام شخصٌ آخر حيث يشاء في داره، فيقول: " إن قضية فلسطين لم يجر مثلها ولا في أيام نيرون. ولو قرأناها في أخبار الأولين، لما صدقنا أنه يسوغ في إنسانية البشر وعقل العقلاء، أن تقول لرجل: اخرج من دارك ليأوي إليها هذا المشرد المسكين، ونم أنت في الزقاق أو اضطجع على المزبلة أومت حيث شئت.

هذا قضاء المدنية، وهذا حكم الديموقراطية ..... وإن حوادث فلسطين لم يقع مثلها ولا على عهد محاكم التفتيش، أن يذبح عشرات الألوف من الأبرياء؛ لأنهم قالوا لمن دخل عليهم بلدهم، واغتصب أرضهم، وأكل خبزهم: أطعمنا معك من خيرات أرضنا، وارفق بنا في عدوانك علينا ".[74]

العدوان الثلاثي على مصر:

وليست القضية الفلسطينية وحدها التي شغلت الطنطاوي، بل شارك إخوانه في مصر ما أصابهم من جراء العدوان الثلاثي الغاشم، إذ يقول: " كيف أنام على ناعم الفرش وإخواني في مصر يبيتون مسهدين مستعدين قد تأبطوا بنادقهم، ورابطوا يدافعون عن أرضهم وعرضهم .... العدوان المثلث اللعنات الذي نزلت به عليهم دول الشر الثلاثة: إسرائيل وفرنسا وبريطانيا؟ ".[75]

فهذه الكلمات الصادقة نابعة من أخوة الإسلام؛ لتبث روح الحماسة والتضحية في نفوس المسلمين، فالشعوب الإسلامية كلها تقف إلى جانب المصريين ضد المستعمر، وهم مستعدون للتضحية والفداء من أجل إخوانهم، فيقول: " على قدم واحدة ... الشباب في الطرق والشيوخ في الأسواق والطلاب في المدارس والنساء في البيوت ... على ألسنتهم جميعا حديث مصر، وفي

73- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 129.
74- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 196.
75- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 98.

قلوبهم جميعا حب مصر، وفي عروقهم تغلي الدماء حماسة لمصر، وشوقا إلى السفر لمصر؛ للجهاد مع أهل مصر ".[76]

ويقول في موضع آخر: " أننام على فرش الأمن، وننعم بالدعة والخفض، ونشرب العذب من بردى، ونؤم الضاحي من سفوح قاسيون؛ نلهو ونتمتع، وإخواننا على ضفاف النيل وجوانب القناة يخوضون اللهب، ويقحمون الحديد؟ وإخواننا هناك تهد بيوتهم ويصرع فتيانهم، ويعتدى عليهم في أوطانهم. لا والله، نألم إن ألموا، ونجزع إن جزعوا، ونخوضها حمراء عابسة الوجه، يرقص فيها الموت إن دعتنا إلى خوضها الأخوة، وندانا الدم والدين واللسان، ولا منة لنا ولا فضل. ولن نعيد مأساة فلسطين".[77]

إن الكاتب عندما يكون مؤمناً بفكرته إلى العمق تظهر وكأنها جزء من كلامه، تواتيه المعاني سهلة دون كد أو تعب، وتتسلسل لديه الأفكار من غير تناقض، وتكسبه صدقاً وتعبيراً وانفعالاً وتأثيراً.[78] وليست العاطفة الثائرة دليلاً على صدقها، فعواطف الطنطاوي هادئة ومع ذلك كانت مؤثرة؛ لصدورها عن وجدان حي، مناسبة للغرض، إذ يقول: " يا أهل مصر! اثبتوا على جهادكم فإنا جميعا معكم، قضيتكم قضيتنا، وعدوكم عدونا، ما ضرنا أن تفرقنا الحدود على الأرض، والألوان على الخرائط، مادام القرآن يجمعنا، ولغة الضاد توحدنا، والآمال والآلام تربطنا، وذكريات الماضي وآمال المستقبل".[79]

إن أخوة الدين واللسان هي التي جعلت الكاتب يرفض الدعة والأمن والرخاء وإخوانه في مصر يقتلون ويقفون في وجه الحديد والنار؛ لأن وقت اللعب واللهو ينتهي عندما يتعرض مسلم لأذى في شرق الأرض أو غربها، فإن كانت الحرب فنحن لها بلا منّة أو فضل حتى لا يضيع بلد آخر كما ضاعت فلسطين.

الحرب على اليمن:

إن الطنطاوي كاتب إسلامي، فهو لم يترك بلدًا عربيًا أو إسلاميًا إلا وكتب عنه ودافع عن ثورته في وجه المستعمر، وحث شعبه على مقارعة الاحتلال بأي شكل من الأشكال، فتحدث عن اليمن وشعبه وثورته ضد الاحتلال الإنجليزي، فيقول: " هل أتاكم نبأ من في أطراف اليمن، إذ كانوا آمنين في أرضهم، ساكنين إلى أهلهم، فما راعهم إلا قصف الرعد من تفجر القنابل، ولمع

76- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 104.
77- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 82.
78- علي جواد الطاهر، *مقدمة في النقد الأدبي*، ط8، المكتبة العالمية، بغداد، 1983 م، ص 145.
79- علي الطنطاوي، هتاف *المجد*، ص 82.

البرق من قدح البارود، والسقوف تنقض عليهم، والجدران تنهد من حولهم، والأرض تزلزل من تحتهم، وأولادهم وبناتهم يصرعون على أعينهم؟ وما قامت القيامة، ولا تفتحت البراكين، ولكنهم أدعياء المدينة وأعداء الإنسانية، ومصيبة البشر، وسبب البلايا كلها (الإنجليز)".[80]

فالاحتلال هو سبب مصائب الشعوب وبلائها، فهو المدمر والمخرب والقاتل أينما حل، لا يجلب معه إلا الفقر والقتل والدمار.

وكذلك يفتخر بماضي اليمن العريق، فهي أرض بلقيس وتبع وابن ذي يزن، إذ يقول: " لقد كان البرق اليماني إذا لمع هز قلوب العاشقين وحرّك ألسنة الشعراء أفلا يهز قلوبكم البرق اليماني، وهو يحمل أفظع أخبار النذالة والاعتداء من بريطانيا، وأروع أنباء البطولات والثبات من اليمنيين من إخوانكم هناك، في منازل بلقيس وتبع وابن ذي يزن ".[81]

لقد دافع الطنطاوي عن قضايا الأمة العربية والإسلامية من خلال دفاعه عن وطنه واستثارة الهمم لطرد المستعمر الفرنسي، والدعوة للتظاهر ضده، ولم تقتصر دعوته على أبناء وطنه وشعبه بل وقف إلى جانب إخوانه في مصر واليمن والعراق والجزائر والمغرب. كما حازت القضية الفلسطينية على الجزء الأكبر من أدبه، فقد دعا إلى طرد اليهود والوقوف في وجههم، ودعا إلى وحدة إسلامية تجمع البلاد المسلمة حتى يعود للإسلام مجده ونوره. فكان في أدبه يدعو إلى عدم اليأس والسير قدوما حتى تحقيق الاستقلال والوحدة الإسلامية، فالظلم لابد أن يقهر والظلم لابد أن ينجلي والفرقة والانقسام يجب أن تتحول إلى وحدة واتفاق، فيقول: " إنه قد طلع الفجر فلا تخشوا بقايا الظلام على حواشي الأفق. إننا كصاعد الجبل ننظر إلى الحفر تحت أقدامنا والذروة من فوقنا، فنشكو بعد الغاية، وصعوبة المرتقى، وحق لنا الشكوى. ولكن لننظر وراءنا؛ لنرى كم قطعنا من الجبل، إننا ماشون إلى الأمام وكل من مشى على الطريق وصل. إني لأرجو ألا أموت حتى أرى جامعة الدول الإسلامية قد صارت حقيقة، وأن أحكام الإسلام قد غدت قانونا، وأن عز الإسلام قد رجع، وأن السماء قد صفت وانقشعت عنها هذه الغيوم غيوم التفرق والانقسام وإسرائيل والاستعمار، وما يؤذي الأخلاق من الفسوق، وما يؤذي العقيدة من النحل الخبيثة والمذاهب المنحرفة ".[82] فكان له دور فعال في المتغيرات السياسية في عصره محليا وعربيا ودوليا.

80- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 152.
81- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 154.
82-علي الطنطاوي، *مقالات في كلمات*، ص 187.

3.1. الخاطرة الوجدانية

كان الطنطاوي مرهف الحس والعاطفة، تناول في خواطره عاطفة الحب وغريزة الجنس، ولكن من منظور إسلامي، وكان يسمو بمشاعره وعواطفه إلى ما حث عليه الإسلام في هذه المواضيع، وقد ذكر الحب في الكثير من خواطره.

فالحب هو المجد، والحب الفضيلة والرذيلة، والطموح والحسد، وهو أضعف مخلوق وأقواه، وهذا يتبع لحالة الإنسان المحب، فيقول : " يستطيع الحب أن يمحو من النفس صورة المجد والجاه، والفضيلة والرذيلة، والطموح والحسد، ولكنه لا يمحوه شيء...وليس في الناس من لم يعرف الحب".[83] إن شفافية النفس، والذوق الرفيع، جعل الطنطاوي ينطق بأعذب الأوصاف وأجملها، فتحدث عن الحب الذي اعتبره سرًّا من أسرار الوجود، وكتب فيه قائلاً: " الحب مشكلة العقل التي لا تحل، ولكنه حقيقة القلب الكبرى ... يختبئ في النظرة الخاطفة من العين الفاتنة، وفي الرجفة الخفيفة من الأغنية الشجية، وفي البسمة المتومضة من الثغر الجميل " .[84]

يتحول الحب عند الطنطاوي إلى مخلوق حي، يختبئ وراء الجفون، وفي ترنمات الصوت الجميل. والحب عنده ليس العناق والقبل، بل الحب يضبطه الدين والشرع، ولابد أن تنتهي علاقة الحب بالزواج، إذ يقول: " ليس الحب ضمة ولا شمة ولا قبلة. الحب أن يرى المحبوبة فيحس في نفسه جوعا سماويا إليها، ورغبة جامحة في أن يفتح قلبه ويضعها فيه ويضمه عليها. الحب أن تفنى هي فيه، وأن يفنى هو فيها، ألا يفرق الحبيبين الزمان ولا المكان ولا الميول ولا الأهواء، فيكون أبدا معها ... وأن يدخلا معا مصنع القدرة الإلهية مرة ثانية ويخرجا وقد صارا إنسانا واحدا في جسمين اثنين، فأنى تروي جرعات اللذائذ الحسية هذا الظمأ الروحي؟! إنها كالخل للعطشان، يشربه فيحرق أمعاءَهُ ويزيد ظمأه ".[85]

ولم يتردد الطنطاوي في الحديث عنها، ومن هذا كلامه عن الحب في إحدى خواطره، إذ يقول: " من حرم الحب؟ والله الذي أمال الزهرة على الزهرة حتى تكون الثمرة، وأدنى الجبل من الجبل حتى يولد الوادي، ولوى الأرض في مسراها على الشمس حتى يتعاقب الليل والنهار، وهو الذي ربط بالحب القلب بالقلب حتى يأتي الولد، ولولا الحب ما التف الغصن على الغصن في الغابة النائية، ولا عطف الظبي على الظبية في الكناس البعيد ... ولا أمد الينبوع الجدول الساعي نحو البحر، ولولا الحب ما بكى الغمام لجدب الأرض، ولا ضحكت الأرض بزهر الربيع، ولا

83-علي الطنطاوي، *قصص من التاريخ*، ص 58 - 59.
84-علي الطنطاوي، قصص *من التاريخ*، ص 59.
85-علي الطنطاوي، قصص *من التاريخ*، ص 203 - 204.

كانت الحياة. وما في الحب شيء، ولا على المحبين سبيل، إنما السبيل على من ينسى في الحب دينه، أو يضيع خلقه، أو يهدم رجولته أو يشتري بلذة لحظة في الدنيا عذاب ألف سنة في جهنم".[86]

يشيد الطنطاوي بجمال الحب، وما له من روعة وعطاء على الكون كله؛ ليتضح الطريق الصحيح الذي يوصل إلى الزواج؛ وليبتعد عن الضلالة به، فتتحول الحياة إلى جحيم وشقاء بالمحرمات. فمفهوم الحب عند الطنطاوي يختلف عن مفهومه عند أبناء عصره، ولغة الحب وحي من السماء، والمحبوب هو صورة سماوية.

كما تحدث في خواطره عن العاشقين ومعاناتهم، فهم مساكين بائسون، وأحاديثهم بلا نفع ولا فائدة، فلا أحد يشعر بآلامهم ولا يسمع آهاتِ عذاباتهم ولا حرقة قلوبهم التي أضناها العشق وأودى بها الشوق، وقد أشفق الطنطاوي على حالهم إذ يقول: " يا رحمة للعاشقين! حيّهم بائس، وميتهم منسي، وحديثهم ضائع. يا رحمة للعاشقين! لا يقام لشهيدهم قبر، وإن أقيم له لم يقف عليه أحد، ولم يحفظ له تاريخ ".[87]

والشاعر كما يصوره الطنطاوي، يطلب نظرة من محبوبته لتطفئ بها لهيب قلبه، ويمضي حياته بعيدا عنها، لكن صورتها في وجدانه، فإذا نظر إليها نظرة يحسب أنه يعرفها منذ الأزل، وهم روح واحدة في جسدين، يُذكّره بها كل شيء في الطبيعة، فالزهر والساقية والسفح والحمامة والليل والرابية والوادي والنسيم العليل والكواكب كلها تذكره بالمحبوبة، حتى إنَّهُ يتمنى امتلاك أجنحة الطائر حتى يزورها دائما كلما اشتاق قلبه لرؤيتها، فيقول : " سلوا الشعراء، يحلفوا لكم، أنهم لا يطلبون إلا نظرة تروي الغليل، وبسمة تطفي الجوى، وأن يندمج بها ... يمضي عمره بعيدا عنها خاليا قلبه من حبها ... ثم يراها مرة واحدة، ينظر إليها نظرة، فيحسب أنه قد عرفها من الأزل ... فهما روح في جسدين ... يذكره بها وميض الزهر في الروض، وحديث الساقية للسفح، والحمامة تسجع على الغصن ... ولغة الجداول عند الرابية، وفتنة الوادي عند الجزع ... والتلال الخضراء اللابسة جلابيب الصنوبر، والجبل الأجرد المتموج بعمامة الصخر ... إن هب النسيم من نحو أرضها شجته النسائم، أو جرى السيل من جهتها أجرت دموعه السيول، أو طلع الكواكب من أفقها أهاجت أشواقه الكواكب أو رأى طيرا تمنى لو استعار أجنحة الطير ليزورها ".[88]

والجمال كما يراه الطنطاوي في خواطره ليس الحسن والوجه الجميل والجسم الطري أو المرأة الفاتنة، بل الجمال هو الإخلاص برأي الطنطاوي، إذ يقول: " هب أن هذه أطرى جسما

86- علي الطنطاوي، صور *وخواطر*، ص209 - 210.
87- علي الطنطاوي، صور *وخواطر*، ص 33.
88- علي الطنطاوي، صور *وخواطر*، ص 256.

وأحلى وجها، وأقدر على الفتنة، فمن قال لكم: إنَّ الجمال هذا؟ إن الجمال هو الإخلاص، إنك ترى أمك جميلة في عينيك، حبيبة إلى قلبك، ولعل في وجهها من تجاعيد الكبر أودية وجبال ... ولعل فمها كالمغارة الخالية ... ولعل يديها كمخالب الطير، وترى المرأة التي خانتك وغدرت بك قبيحة بغيضة، وإن كانت في عين الرائي أجمل النساء ... ".[89]

فالتعبير بهذه النبرة الهادئة والكلمات الصادقة اللينة تعكس وجدانه الصادق من خلال تضامنه مع الشعب المصري، ومشاركتهم آمالهم، وهذا نابع من أخوة الدين.

لقد كان وجدان الطنطاوي صادقاً نابعا من دوافع ذاتية، ونفس ثائرة، ومشاعر جياشة تحركها العواطف، فتملأ النفس قوة وصلابة؛ لأنها مستمدة من صدق صاحبها.

وقد حاول النهوض بوجدان الأمة من خلال كلماته الصادقة، التي حاول من خلالها إيقاظ تلك الأمة الغافلة التي فقدت توازنها وثقتها بنفسها، فأراد بكتاباته بعثها في القلوب من خلال الرجوع إلى دين الإسلام.

89- علي الطنطاوي، قصص *من الحياة*، ص 169.

4.1. الخاطرة الوصفية

إن أدب الطنطاوي هو أدب الحياة والواقع، وكذا خواطره الوصفية هي معاينته للحياة.

فالخاطرة الوصفية تقوم على تصوير ما يقع تحت حس الكاتب وبصره في العوالم المحيطة به، سواء في هذا عالمه وبيئته أو عوالم الآخرين وبيئاتهم حين ينتقل إليها ويشاهدها، وكذلك تصوير مشاعره وأحاسيسه الذاتية تجاه ما يقع تحت حسه وبصره في تلك العوالم.[90]

وتعتمد قيمتها الحقيقية على دقة الملاحظة وعلى التعاطف العميق مع الطبيعة، ثم على الوصف الرشيق المعبر الذي ينقل أحاسيس الكاتب وصورة الطبيعة، كما تنعكس على مرآة نفسه بصدق وإخلاص. والغاية الأولى في مثل هذه الخواطر هي تصوير البيئة المكانية التي يعيش فيها الكاتب، كما تتراءى لإنسان عميق الإحساس، حاد البصر، نافذ البصيرة. وهذا الامتزاج مع الطبيعة، والتعبير الإنساني عنه، هو ما يميز هذه المقالة عن مقالات العلماء وأبحاثهم في عالمي النبات والحيوان.[91]

والخاطرة الوصفية في النثر الأدبي الجميل الذي يعمد فيه كاتبه إلى تصوير ما يريد أوما يخطر له، أوما يشاهده في أسلوب طريف مؤثر، يتتبع الدقائق، ويلاحق التفاصيل الصغيرة في المشهد، وينقل أثر ذلك في نفسه، وما يبعث في وجدانه من حسٍّ شجيٍّ أو تخيل. فكأنه الرسام الموهوب يبدع لوحة خلابة غنية بتلك الألوان والتقسيمات والنقوش، مما يلهم النفس بجميل المعاني، ويوحي إليها من ثري الحياة.[92]

ولعل البيئة الدمشقية الخلابة وما فيها من جمال الطبيعة التي أودعها الله في ذلك البلد، كان لها الأثر الأكبر في الوصف في خواطر الطنطاوي؛ إذ اتخذ من تلك الطبيعة الخلابة صديقة وملهمة له، فيقول: " عرفت أن الصداقة ليس لها وجود بين الناس، فنفضت يدي منهم، ولجأت إلى الطبيعة أتخذها صديقي المخلص وأوليها حبي وقلبي ... هي السخية الوفية، الوادعة الجميلة، أجد عندها أنس نفسي وراحة قلبي، أنظر إليها فتمحي هذه الأبعاد والمسافات، وتبدو لعيني حافلة بالألوان التي لا يستطيع أبدع مصور أن يجمعها في لوحة، ومن لعمري يصور ألوان الغروب، أو ألوان الزهر في الروض، أو يثبتها على لوحة بالألفاظ والأوزان ".[93]

90- عبد اللطيف محمد الحديدي، *فن المقالة في ضوء النقد الأدبي*، ط2، 2001 م، ص 47.
91- محمد يوسف نجم، فن *المقالة*، ط4، دار الثقافة، بيروت، ص 91.
92- محمد عبد الله، العوين، *المقالة في الأدب السعودي*، ط2، دار الصميعي، الرياض، 2005 م، ص 352.
93- علي الطنطاوي، صور *وخواطر*، ص 132.

والطبيعة عنده ليست دائما ذلك الصديق الحميم الذي يقف مع صديقه في المصائب والملمات، بل تثور في وجهه أحيانا إلى حد الجنون؛ ليدرك الحقيقة بعد تأمل، أنها مجرد جمادات صامتة ميتة لا روح فيها، فيقول: " غبت في تأملي وأنا على شاطئ البحر، فلم ينبهني إلا سقوط المطر على وجهي ويديّ، فنظرت، فإذا السحب قد نسجت في السماء ليلا آخر، وإذا المطر يهبط متلاحقاً ... ثم تهب الريح وتجن الطبيعة جنونها، فتنطلق تعول وتولول، وتنتف شعرها، وتحطم كل ما بلغته يدها، فماجت نفسي واضطربت كهذا البحر الذي يزمجر .... جنت الطبيعة جنونها، ولكني لم أخفها ولم تكبر في عيني، وإنما ازدريتها وأبغضتها. لقد اتضح الأمر وخسرت صديقتي الطبيعة الجامدة الظالمة الميتة ... فلمن ألجأ؟ " .[94]

عبّر الطنطاوي في هذه الخواطر عما يعتريه من مشاعر وأحاسيس تجاه تلك الطبيعة، إلا أنه لم يخفِ ولهه بالطبيعة الخلابة ومظاهر سحرها. فالإنسان هو من يبث الروح في الطبيعة، وهو من يقتلها ويجعلها جثة هامدة، وهذا يتبع لحالة الإنسان، فهو من يمنح الطبيعة الحزن والسرور، وتكون ميتة مظلمة إذا كان الإنسان مظلم النفس، فيقول: " أقول إن الإنسان هو الذي يمنح الطبيعة الحزن والسرور، فيراها ضاحكة مستبشرة، إذا كان هو الضاحك المستبشر، ويراها كامدة مظلمة، إذا كان مظلم النفس خاثرها ... ".[95]

ولم يقف الطنطاوي عند وصف الطبيعة في خواطره، بل عمد إلى وصف النفس البشرية، وشبهها بالنهر الجاري لا تثبت قطرة فيه مع قطرة، وكذا النفس لا تبقى على حال واحدة، فهي متغيرة بين اللحظة واللحظة، تذهب لحظة الفرح، وتأتي لحظة الحزن، ويذهب حال الرخاء ويأتي حال الشقاء، فيقول: " إن النفس ـ يا أخي ـ كالنهر الجاري، لا تثبت قطرة منه في مكانها، ولا تبقى لحظة على حالها، تذهب ويجيء غيرها، تدفعها التي هي وراءها، وتدفع هي التي أمامها، في كل لحظة يموت واحد ويولد واحد، وأنت الكل، أنت الذي مات وأنت الذي ولد، فابتغ لنفسك الكمال أبدا، واصعد بها إلى الأعالي ... ولا تقل لشيء: لا أستطيعه، فإنك لا تزال كالغصن الطري؛ لأن النفس لا تيبس أبدا، ولا تجمد على حال، ولو تباعدت النقلة وتباينت الأحوال " .[96]

لقد كان الطنطاوي يمتع نفسه بتلك المناظر الخلابة التي كانت في دمشق وغوطتها، ففي سكون الليل وهدأته نامت دمشق قريرة العين، وقد ترك الحبل لأفكاره وخواطره تنساب في ذلك الليل، فكتب قائلا: " وكانت ليلة ساكنة رخية النسيم ... فوقفت أمتع النفس بها وآنس بسكون

94- علي الطنطاوي، صور *وخواطر*، ص 133.
95-علي الطنطاوي، صور *وخواطر*، ص 243.
96-علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 188.

الكون، وأرخيت العنان لأفكاري فانسابت على مهل ... ولبثت ساهرا وحدي، وقد نامت النجوم على فرش المزن الرقراق، ونامت الجبال على أكتاف الأودية وحوافي السهول، ونامت الغوطة في أحضان قاسيون، ونامت الأشجار في جنان الغوطة، حتى بردى فإنه يمشي نائما فعل الجندي ـ وهم قافلون من سفر بعيد ـ متعب وقد مل من طول السفر ... ولم يبقَ ساهراً معي إلا الأضواء الكليلة التي ترتجف من الوحدة والخوف، وتنظر بعيونها الزرقاء خلال الظلام فلا تبصر الطريق. وجعلت أفكر فأرى الطبيعة ظاهرها كباطنها، لا يضمر الجبل نفاقا، ولا السهل يبطن حقدا، ولا السحاب ينطوي على مكر ".[97]

فالطبيعة لا تحمل الحقد والكره والنفاق فظاهرها كباطنها، جنة عظيمة، وهذه السلاسة في الوصف، والبراعة في نقل الأحاسيس تجعل من الطبيعة الساكنة الجامدة روحا متحركة تنطق بالجمال والحكمة. ولا يقف الطنطاوي عند هذا الوصف، فمن خلال تنقله بين البلدان يصف لنا مشاهداته بخواطر رائعة، يحملنا بها إلى عالم الجمال، ويخرجنا إلى هذا الكون الفسيح والعالم الرحب، لنعيش مع هذه الصور الجميلة بأحاسيسنا ومشاعرنا.

إن الطنطاوي ابن البيئة الشامية ذات الطبيعة الخلابة، عجت كتبه بوصفها، فكان يشخِّصُها تلك الطبيعة بالصفات الإنسانية جاعلا منها إنسانا يناجيه كمناجاته للبشر، ويتعامل معها وكأنها حية بثت فيها الروح، فيرتمي في أحضانها مشاطرًا إياها الأفراح والأحزان والآمال دافنا آماله في صدرها.

وها هو ذا يصف نهر بردى بأنه سطر خطته الحكمة الإلهية على صفحة الأرض ؛ ليقرأ فيه الناس القدرة الإلهية وروعة الخالق، فيقول : " بردى سطر من الحكمة الإلهية، خطته يد الله على صفحة هذا الكون؛ ليقرأ فيه الناس ببصائرهم لا بأبصارهم فلسفة الحياة والموت، وروعة الماضي والمستقبل".[98] وهل لكاتب مثل الطنطاوي أن ينسى بلده دمشق ذات الطبيعة الخلابة الساحرة، بغوطتها الخضراء الغناء، ونهرها العظيم بردى وجبل الأشم قاسيون وجامعها الأموي، ومع كل هذه الطبيعة ومظاهرها لا يمكن أن يمر الكاتب عليها مرورا عابرا دون أن يبدع في وصفها، وما أكثر الوصف في كتابات الطنطاوي! فدمشق جنة خالدة في هذه الأرض؛ إذ يقول: " دمشق : وهل توصف دمشق؟ هل تصور الجنة لمن لم يرها؟ من يصفها وهي دنيا من أحلام الحب وأمجاد البطولة وروائع الخلود؟".[99]

97-علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 35 - 36.
98- علي الطنطاوي، *دمشق صور من جمالها وعبر من نضالها*، ص 133.
99- علي الطنطاوي، *دمشق صور من جمالها وعبر من نضالها*، ص 7.

ويتابع في وصفها قائلا : " دمشق التي يحضنها الجبل الأشم الرابض بين الصخر والشجر ... دمشق التي تعانقها الغوطة، الأم الرؤوم الساهرة أبدا، تصغي إلى مناجاة السواقي الهائمة في مرابع الفتنة، وقهقهة الجداول المنتشية من رحيق بردى ... دمشق التي تحرسها الربوة ذات الشاذروان، وهي خاشعة في محرابها الصخري تسبح الله وتحمده على أن أعطاها نصف الجمال حين قسم بقاع الأرض كلها ... دمشق أقدم مدن الأرض قدما، وأكبرها سنا، وأرسخها في الحضارة قدما ... فأي مدينة جمع الله لها من جمال الفتوة، وجلال الشيخوخة، كالذي جمع لدمشق".[100]

ثم ينتقل لوصف الربوة التي اعتبرها كحلم جميل يتذكر الرائي فيه ليالي أنسه وحبه وسعادته، فهي لحن جميل ألقته السماء في أذن الأرض، فيقول: " وما الروضة إلا حلم ممتع غامض يغمر قلب رائيه بأجمل العواطف التي عرفها قلب بشري، فيذكِّر كل إنسان بليالي حبه، وساعات سعادته، ثم يتصرم الحلم ويستحيل إلى ذكرى حلوة لا تمحوها الأحداث، ولا تطغى عليها سيول الذكريات. الربوة: لحن من ألحان السماء ألقته مرة واحدة في أذن الأرض. الربوة هي الربوة لمن لا يعرفها وكفى**!** "[101]

وكذا يصف الجامع الأموي، الذي لا يشبهه جامع على سطح الأرض، قائلا: " هاهنا قلب المدينة، وفيه الجامع الأموي الذي لا يقوم على ظهر الأرض جامع مثله، وها هي ذي منارته التي تعد مئة وسبعين منارة، منها عشرون من أعظم منارات العالم الإسلامي، وقد افتتن بناتها في هندستها ونقشها، فاختلفت منها الأشكال، واتفقت في العظمة والجلال، لا كمآذن بغداد التي لا يختلف شيء منها عن شيء، فإذا أبصرت منها واحدة فكأنما أبصرتها جميعا ".[102]

ينتقل بعدها ليصف نهر بردى الذي علّم أبناء دمشق حب الخضرة والجمال، إذ يقول: " لقد علّم بردى أبناءه الولع بالخضرة والظلال، وحبب إليهم أفانين الجمال، فصارت النزهة من مقومات الحياة في دمشق، لا تحيى أسرة إلا بها، ولا تستغني عنها، فهي لها كالغذاء، فهل يستغنى عن الغذاء؟".[103]

ويصف الغوطة الجميلة الخلابة التي فتنت بروعتها وجمالها الملوك والأدباء، وألهمت الشعراء، وأفرحت قلوب المحبين على مر العصور، فكلما طال عليها الأمد ازدادت حسنا وجمالاً وبهاءً، فيقول : " هذه هي الغوطة إن يفتنك جمالها وبهاؤها، فقد فتنت من قبلك ملوكاً وقوّاداً

100- علي الطنطاوي، *دمشق صور من جمالها وعبر من نضالها*، ص 8.
101- علي الطنطاوي، *دمشق صور من جمالها وعبر من نضالها*، ص 8.
102- علي الطنطاوي، *دمشق صور من جمالها وعبر من نضالها*، ص8 - 9.
103- علي الطنطاوي، *دمشق صور من جمالها وعبر من نضالها*، ص 10.

وأدباء وعلماء، وأنطقت بالشعر ناسا ما كانوا من قبل شعراء، وأشاعتْ في الناس فرحة لا تنقضي، وما فقدت على الأيام فتنتها، ولا شاخت على طول المدى، بل ازدادت شبابا وفتونا وحسنا ... ولو رأيتها وهي مياسة في حلل الزهر تختال في أفراح الربيع، عرس الدهر، تملأ الدنيا بالعطر والسحر، وتقرأ على القلوب أبلغ الشعر، لرأيت عجبا، ما يبلغ وصف حقيقته بيان**!**".[104]

هذه دمشق بلد الطنطاوي وحبيبته الأولى، أحبها وتعلق بها، وقضى فيها أجمل ذكرياته وطفولته، رغم ابتعاده عنها في آخر حياته، لكن رؤيتها قبل وفاته كانت إحدى أمنياته، فقد عاشت دمشق في وجدانه ولم تفارق خياله طوال حياته، فكان يتسلى ـ بحرمانه منها ـ بذكرها بدلا عن زيارتها.

وقد تميز وصفه بالسلاسة والبراعة في نقل الأحاسيس من خلال تجسيد الطبيعة الجامدة الميتة، وجعلها حية متحركة تبوح بما لديها من الجمال والحكمة؛ لتهتز لها النفس البشرية، وهذا في وصفه لدمشق، إذ يقول: " وهذا الجبل الذي يَفْتَرُّ أبدا عن مثل ابتسامة الأمل في وجوه المطالب على حين تعبس الجبال، لن تلقوا بعدها مدينة مثلها ... ثيابها زهر، ونسيمها عطر، وحديثها شعر، وجمالها سحر، ومياهها خمر حلال؛ لأنها جنة المُستعجِل ...".[105]

وليس الزهر والشجر والربيع وحده من يلهم الطنطاوي الوصف الرائع الدقيق، فالصحراء عنده ملهمة أيضا، إذ يقول: " وكان كل شيء عاشقا قد سكر بخمرة الجمال وراح يحلم، فالصحراء الواسعة قد سكرت وتغلغلت في الظلام متفردة تحلم بالماء والظل، والسهول المجاورة راحت تحلم بربيع دائم، وعاد الأمس حيا حالما بالخلود، وأطل الغد نشوانا يحلم بليلة مثل هذه الليلة ".[106]

فجمال الصحراء الواسعة صورة عظيمة نقشت بريشة فنان قدير تمازجت فيها ألوان مختلفة، جعلت منها صورة زاهية في هذا الكون الفسيح.

ولو نظرنا إلى وصف الصحراء عند الطنطاوي، لوجدنا براعة الوصف في تلك الصورة، صورة الصحراء التي رسم لها لوحتين، الأولى: فيها الحب، والثانية: فيها الحرب، ولكن أي حرب؟ إنها الحرب مع الشمس الحارقة، حرب مع الناس مع الضلال والموت، فيقول: " تختصر صفتها ويوجز تاريخها في كلمتين اثنين هما: الحب والحرب، فليلها للحب، ونهارها للحرب،

104- علي الطنطاوي، *دمشق صور من جمالها وعبر من نضالها*، ص 19.
105- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 2 / 241.
106- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 158.

حرب مع الشمس اللاهبة والرمال المشتعلة، والضلال والموت، حرب مع الناس، فإذا أدركك المساء، ولا يدرك مساءها إلَّا كل بطل صبار قوي متين، تفتح للحب قلبك ".[107]

فالصحراء عنده مكشوفة؛ الظاهر فيها كالباطن، فهي لا تخفي سرا ولا تبطن عكس ما تظهر، فلا تشبه المدن ولا الرياض في شيء.

وكان للطنطاوي بعض الوصف الساخر عندما وصف أعرابيا دخل إلى المدينة أول مرة مستغربا، وقد عاش جل حياته في الصحراء لا يعرف عن المدينة شيئا، فيصور لنا دخوله إلى حمام السوق، فيقول:" وأخذني فأدخلني دارا قوراء في وسطها بركة عليها نوافير يتدفق منها الماء، فيذهب صعدا كأنه عمود من البلور، ثم يتثنى ويتكسر، ويهبط كأنه الألماس، له بريق يخطف الأبصار، وعلى أطراف الدار دكك كثيرة، مفروشة بالأسرة والمتكآت والزرابي كأنها خباء الأمير ".[108]

لقد تمتع الطنطاوي بدقة الوصف وجمال التصوير، وقد أجرى وصفه على لسان أعرابي جاء من البادية، لم يكن قد دخل المدينة من قبل، وكأنه في هذه الصورة يريد الإشارة إلى بعض العادات الجديدة التي وجدت في ذلك المجتمع، من خلال رفض الأعرابي لتلك المواقف التي عاشها في الحمام، فكان تصويره ساخرا حاملا معه الكثير من الإشارات والدلائل.

لقد كان وصف الطنطاوي نابعاً من إحساس مرهف وعاطفة جياشة، فالبيئة التي عاش فيها بجمالها وسحرها، ألهمته هذا الوصف الجميل البديع، فقد كان يضفي على موضوعاته بعض الصفات الإنسانية من خلال التجسيد؛ ليبث فيها الحركة والحياة، فكانت خواطره الوصفية تنبض بالحركة والحيوية.

وكان يبدع في أسلوبه الوصفي، حتى بلغ فيه مرتبة يصعب على كثير من كتاب الأدب بلوغها. وسنورد في نهاية هذا الموضوع بعض خواطر الطنطاوي التي جمعت من هنا وهناك، بمواضيعها المختلفة.

107- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 173.
108- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 75.

الفصل الثاني

البنية الأسلوبية للخاطرة عند الطنطاوي

2. البنية الأسلوبية للخاطرة عند الطنطاوي

الأسلوب في اللغة: السطر من النخيل، والوجه والمذهب والطريق. يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب، والأسلوب الطريق، والأسلوب: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول: أي أفانين منه.[109]

أما اصطلاحاً: فقد حظي الأسلوب بكثرة المفاهيم والتعريفات، وكثرة هذه المفاهيم والتعريفات ظاهرة تساعد على تحديد الأسلوب.

وربما كان التعريف الشامل للأسلوب هو: " طريقة عمل، ووسيلة تعبير عن الفكر بواسطة الكلمات والتركيبات ".[110]

أو بتعريف آخر: " طريقة الكتابة، وطريقه الإنشاء، وطريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني بقصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه ".[111]

أما أسلوب الطنطاوي فقد كان فريدا، فأسلوبه جديد لم يُعرف به أحد من الكتاب سواه، ولم يقلد أساتذته ولا الأدباء السابقين له، وإن كان تأثر بمصطفى صادق الرافعي في بعض أسلوبه، فيقول: " إنني اتبعت في الكتابة أسلوبا، يكاد يكون جديدا، عرف بي، وعرفت به. وما كان من أساتذتي الذين قرأت عليهم، ولا في الأدباء الذين قرأت لهم، وأفدت منهم من له مثله حتى أقلده فيه وأتبع أثره، وإن كان فيهم من هو أبلغ مني، وأعلى درجة في سلم البيان ".[112]

ومن أهم الخصائص الأسلوبية عند الطنطاوي الاستطراد، فيقول مثلاً:

" ... لقد خرجت عن الخط، ولكن لا كما يخرج القطار عن القضبان، فينهار ويسبب الهلاك والدمار، ولكن كما يميل المسافر إلى الواحة فيها الظل والماء، فيجد فيها الراحة والري. فعفوكم إن جرتني المناسبة إلى سرد قصة ليست من صلب الموضوع، ولكن أرجو أن يكون من سردها متعة أو منفعة. أعود إلى موضوعي...".[113]

وهو يقر على نفسه بهذا ويعتذر من القراء لهذا الاستطراد، إضافة لهذا فأسلوبه ممتع؛ لسهولته ولينه من جهة، وقوة تراكيبه وتجانسها، وطلاوة ألفاظه وسهولتها من جهة أخرى، فعندما تقرأ أدبه تشعر وكأنه يحدثك أنت وأنك من تجالسه، فيقول عن استطراداته: " أنا يا سادتي القراء

109- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، *لسان العرب*، 1 / 473.
110- سعيد علوش، معجم *المصطلحات الأدبية المعاصرة*، ط1، المغرب ،الدار البيضاء، 1405 هـ، ص 114.
111- أحمد الشايب، الأسلوب *دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية*، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1411هـ، ص 44.
112- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، ص 37/3.
113- علي الطنطاوي،ذكريات علي الطنطاوي، 196/1.

قد تلقيت حكمكم علي بأني أخرج دائما عن الموضوع وأنني أستطرد، وأنا أعترف بالذنب وقبلت الحكم ".[114]

كما استخدم الطنطاوي أسلوب التلميح والإيحاء في الخاطرة، وهو ما يدل على تمكنه وسعة اطلاعه في الأدب ولغته، فالأديب تقاس مهارته بمدى قدرته على صياغته للتراكيب الموحية، التي لا تسلم للقارئ معانيها من أول وهلة، فكلما اتخذت هذه التراكيب والتعبيرات صورا عدة ومعاني مختلفة ظاهرة وخفية دل ذلك على ثراء لغة الكاتب وبلاغته ومكانته الأدبية.

وكان الطنطاوي يكثر من استخدام أسلوب التعريض، والإشارة التي قد تأتي على شكل جمل اعتراضية أو بدونها حيث قال:" ومن شأن الحطب الجزل أن يبطئ دخول النار فيه ويبطئ خروجها منه، فلابد لاشتعاله من أعواد صغار أو حزمة من القش".[115]

وهنا كان يتكلم عن ثورة السوريين ضد الفرنسيين التي بدأها طلاب مكتب عنبر: والذين أشار إليهم بالأعواد الصغار أو حزمة القش.

ويقول أيضا " الفرنسيون أصحاب الثورة الكبرى التي يدَّعون أنها قامت لنشر العدالة والمساواة والحرية ... قوم روسو (ROUSSEAU) وهوغو (HUGO) ولامارتين (LAMARTİNE)، الذين صنعوا تمثال الحرية وأهدوه إلى أمريكا فأقامته عند بابها الشرقي يطل على فرنسا، من وراء البحر الأطلنطي".[116]

وهنا كان في حديثه عن المستعمر الفرنسي الكاذب.

كما أن أسلوبه كان يتسم بالشاعرية وخاصة في وصفه للطبيعة، فيجذبنا إلى وصفه بالابتكار الخيالي البارع، والكلمات الموحية المعبرة، وهذا الابتكار التصويري يعتمد غالبا على سمة واضحة، هي التشخيص، من خلال بث الروح والحياة والمشاعر البشرية في الجمادات والحيوانات والنباتات، وهذا التشخيص يدل على توهج عاطفة الطنطاوي وشدة شعوره، فيبتعد بذلك عن الوصف الحسي المجرد للأشياء. ومما لمح به من الشعر معبرا عن صبره على أذى ناقديه:

114- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، ص 46/2.
115- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، ص 168/1
116- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، ص 1/ 212

"عرف الناس من أحاديثي في الإذاعة أو الرائي أني أقرأ أشنع السب لي وأنا هادئ لا تتحرك من الغضب شعرة في جسدي؛ لأني لكثرة ما كتب عني: تعودت مس الضر حتى ألفته".[117] وقد أحسن هنا في اختيار تلميحه إذ اختصر عليه الكلام وأوضح ما يريده من البيان

والسلاسة والوضوح والسهولة التي امتاز بها الطنطاوي في أسلوبه إنما هي دليل على صفاء الذوق وذكاء الفهم، فكانت أفكاره صحيحة وواقعية مطابقة للحال، وخالية من التناقض؛ لذا كان أسلوبه الأدبي جيدا، وأفكاره تهدف إلى الارتقاء بالإنسانية وإصلاح المجتمع، فكانت صالحة لكل زمان ومكان.

117- علي الطنطاوي، ذكريات علي الطنطاوي، 45/2، وهو شطر بيت من الشعر تكملته: وأسلمني حب العزاء إلى الصبر. قاله أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو. معجم الأدباء لياقوت الحموي 437/3. و"جمهرة الأمثال" لأبي هلال العسكري ص185.

1.2. المستوى اللفظي

يُعرِّف ابن الأثير الألفاظ في المثل السائر، بقوله: " اعلم أن الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تُتَخَيَّلُ في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة، تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق، ولطافة مزاج ".[118]

أما ابن رشيق فيقول: " اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته ".[119]

ويُعرِّفُ الشايب الألفاظ بقوله: " هي الكلمات المفردة التي تتألف منها الجمل، وهي أسماء وأفعال وحروف، ولكنها مع ذلك ذات خواص متباينة، كأن تكون دقيقة محدودة أو مبهمة مشتركة، أو اصطلاحية علمية، وفنية عامة، رقيقة أو خشنة، عامية أو فصحى، موسيقية رشيقة أو عادية جافة، لونية أو صوتية إلى نحو ذلك ".[120]

أما الطنطاوي فقد كان يميل إلى اختيار المألوف من الألفاظ، يختاره لموافقة دواعي التعبير من القرآن الكريم أو السنة النبوية أو من مفردات شائعة الاستعمال بين الناس، ولكنه يصوغها بأسلوبه الخاص، ويبث فيها من عواطفه وأحاسيسه ومشاعره وشخصيته؛ ليخرج منها قطعة فنية بديعة، غير مألوفة. والأدب عند الطنطاوي ليس إظهار المقدرة اللغوية وجمع المفردات في صدره من معاجم اللغة وغريب الكلام، إنما الأدب عنده هو التعبير عن تجربة الكاتب بما يجود به خاطره وتبوح به نفسه، وهذا رأيه في الكتابة، إذ يقول: " إنني كلما تقدمت شعرت من نفسي تميل إلى انتقاء أسهل العبارات وأقربها إلى اللغة المألوفة، ونفور من زخرفة الجمل والعناية بالألفاظ ".[121]

وهذا لا يعني عدم وجود الألفاظ الغريبة في خواطر الطنطاوي، التي لا يعرفها القراء العاديون، ولكن هذه المفردات قليلة في أدبه، وإنما يأتي بها من باب إحلال اللفظ الفصيح مكان اللفظ العامي، ومن هذه الألفاظ:الصوى[122]، ورأد الضحى[123]، وقذال[124] وغيرهما.

118- ضياء الدين نصر الله ابن محمد، ابن الأثير، *المثل السائر*، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، المكتبة العصرية، بيروت، 1990م، ص 69.

119- أبو علي الحسن، ابن رشيق، *العمدة*، محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، 2010م، 2/ 132.

120- أحمد الشايب، *الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية*، ص 46.

121- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 73/2.

122- مفرد صُوَّة : ما نصب من الحجارة ليستدلّ بها على الطريق ، علامات على الطريق إنَّ للدِّينِ **صُوًى** وَمَنَارًا كَمَنَارِ الطَّرِيقِ، انظر لسان العرب، مادة (صوى).

123- **رَأد** الضُّحَى : انبسطت شَمسه وارتَفع نهاره ، لسان العرب، مادة(رأد).

124- **قَذَالُ** الفَرَس : مَعْقِدُ سَيْرَيِ اللِّجام خلفَ النَّاصية والجمع : **قُذُلٌ** ، وأَقْذِلَةٌ انظر لسان العرب، مادة (قذل).

ومن استخدامات كلمة رأد الضحى قوله: "أقول إني زرت جميل بك فوجدته مع زوجته وهي عجوز مثله عند مطوف لم يرع لهما حرمة السن ولا علو المنزلة، فأسكنهما في غرفة رطبة مظلمة، تحتاج إلى شمعة في راد الضحى، لا ترى الشمس ولا يصل إليها خيط من أشعتها".[125]
ورأد الضحى: وقت ارتفاع الشمس وانبساط النور في أول النهار. وكلمة قذال: قد استخدمها الطنطاوي في معنى: ما بين الأذنَين من مؤخرة الرأس، إذ يقول: "وقد خبرني مفتي بغداد الشيخ قاسم القيسي، وهو اتلذي تولى غسل غازي قبل دفنه أن الضربة كانت في قذالِهِ، أي: في أسفل جمجمته من الخلف، فكيف أصابه العمود بالقذال؟ وبدأ الهمس ثم ارتفع الصوت ثم صار له دويٌّ خافت، وصدرت نشرات تتهم عبد الإله ونوري بقتل الملك".[126]

كان الطنطاوي حريصا على وضع اللفظ المناسب في الموضع المناسب، محاولا من خلال انتقاء ألفاظه إظهار ما يجول في النفس من حقائق وعواطف وأخيلة؛ لإيصالها إلى قارئه.

وقد سعى الطنطاوي إلى اختيار اللفظ المطابق للمعنى، مع وجود العديد من الكلمات التي يمكن بها التعبير عن المعنى، إذ يقول: " من لا يجد في هذا البرد الذي يجمد الأنفاس دثارا من الصوف يتدثر به ".[127]

والدثار ما يلتف به الإنسان من غطاء من الصوف، وهي مأخوذة من القرآن الكريم. فكان دقيقا في اختيار ألفاظه، حريصا على انتقاء اللفظ المناسب للمعنى.

كما أكثر من استعمال الألفاظ العامية الفصيحة؛ ليكون قريبا من القراء، فعلق في الحواشي على كثير من الألفاظ، وأوضح أنها من العامي الفصيح، ومن تلك الأمثلة قوله: " ثم أقوم كالمجنون، أنط قافزا مثل الأرنب ".[128]

فأنط بمعنى: أقفز.

ومنه أيضا: " تحت تلك الرجام التي يزدحم عليها العشب، ويتكوم الكلأ ".[129]

فيتكوم من الفعل كوم بمعنى جمع، وتكوم تجمع.

125- علي الطنطاوي، ذكريات علي الطنطاوي، 97/8.
126- علي الطنطاوي، ذكريات علي الطنطاوي، 108/4.
127- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 105.
128- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 67.
129- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 106.

وقوله: " إن دعست فمن تركك الحذر، وإن افتقرت فمن قعودك عن السعي ".[130]

فدعست بمعنى: وَطِئْتُ الشيء بقدمي، وهي من العامي الفصيح.

وكذلك قوله: " أو تخشخش بأوراقك ".[131]

تخشخش من الفعل خشخش، وهي تستعمل من العامي الفصيح بمعنى صوت الأشياء اليابسة.

وغيرها من الألفاظ الكثيرة الواردة في هامش خواطره، والتي يبين أنها من العامي الفصيح.

كذلك يصوب الطنطاوي الألفاظ التي شاع الخطأ في استعمالها، ويوضح ذلك في حواشيه، ومن هذا قوله: " وتصبح في نظري عدما، لأني لا أحس لها وجودا ".[132]

فعند القراءة الأولى يتضح أن فاعل تصبح الضمير أنت، ولكن الطنطاوي وضح ذلك في الحاشية بأن الفاعل هو الضمير (هي) العائد على السفينة، فالسفينة هي من صارت بحكم العدم وليس صديقه.

وفي خاطرة أخرى عن الحب، يقول: " فهل تصدق الجائع إذا حلف لك، أنه لا يريد من المائدة الملوكية إلا أن ينظر إليها، ويشم على البعد رائحتها؟!

كلا كل حب مصيره إلى النكاح أو السفاح ".[133]

يوضح الطنطاوي في الحاشية كلمة الملوكية، فالقياس ملكي ولكن البلغاء قالوا: ملوكي، كما قالوا: رسائل إخوانية وغيرها، والجمع إذا أجري مجرى العلم جازت النسبة إليه، كما قالوا: عالم أصولي ورجل شعوبي.

وهذا دليل على معرفته اللغوية، وامتلاكه لقواعد اللغة، وإلمامه بخصائص بنائها وتركيبها من نحو وصرف.

واتنقاؤه للألفاظ لا يرتبط بالسياق فقط، وإنما كان اهتمامه ينصب على المُتلقِّي، فهو الذي يسهم في تشكيل لغته الفصيحة، ويتحكم في المعجم اللفظي الذي يستعمله في خواطره، ففي خواطره الاجتماعية تكون لغته قريبة من قرائه؛ لجذبهم وشدهم لقراءة ما يكتب، وهذه هي الشريحة الأكبر والأوسع من قرائه.

130- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 137.
131- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 127.
132- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 42.
133- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 154.

وقد أحسن الطنطاوي اختيار الألفاظ المناسبة لموضوعه، ففي خاطرته عن الحب وما يفعله بالمحبين؛ إذ لم تخرج الألفاظ في المقطع السابق عن هذا المعنى، ومنها: (الحب، النفس، الفضيلة، الرذيلة، العقل، القلب، الضعف، القوة، النظرة، الأغنية الشجية، البسمة، الثغر).[134]

وكثرت في خواطره الألفاظ الدالة على المبادئ والقيم والأخلاق والفضائل، وحب الوطن والوطنية والعدالة والأمانة والعادات والتقاليد: وكل لفظ من هذه الألفاظ كان يفصح عن مشاعر وعواطف صادقة نابعة عن حب للوطن والدين.

كما كان يستمد ألفاظه من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وأمهات الكتب التي قرأها، ومن واقعه الذي عاشه، إذ لا يستطيع الكاتب أن ينفصل عن لغة عصره: فلغة الكتابة هي لغة الحياة، ولغة الواقع، فإذا انفصلت اللغة عن الواقع جمدت، والواقع هو غذاء الكلمة.

وقد استطاع الطنطاوي أن يوظف لغة الواقع في خواطره مما أعطاها صدق التعبير وحسن الصياغة، فكان واضح الأسلوب من خلال تعريفه بالكلمة الغريبة المستخدمة في خواطره، ومن ذلك تعريفه للطرف أو الطرائف: وهي ما يسمى في لسان التجارة، وفي لغة العامة (نوفوته) والكلمتان في اللغتين بمعنى واحد تقريبا.[135]

وتعريفه للحَوَّار: وهو الطباشير، فيقول: لا بأس بعربيتها؛ لأن التحوير هو التبييض.[136]

وعرف كذلك العضرفوط، وهو نوع من الحرباء والجرذان.[137]

فهذا بعض ما أورد الطنطاوي في خواطره من دقة اختياره للألفاظ المناسبة، وحسن انتقائه للكلمات المعبرة عن المعنى بالصواب والدقة.

لقد كانت ألفاظ الطنطاوي سهلة فصيحة، لا غرابة فيها، ولا تخالف القياس اللُّغوي، فكان يلتزم بقواعد النحو والصرف، كما كانت ألفاظه خالية من التعقيد اللفظي. وقد كان محيطاً بأساليب العربية ملماً بالفوارق اللُغوية، واسع الاطلاع، وهذا كله جعله كاتباً مبدعاً بين كتاب عصره.

134- علي لطنطاوي، *قصص من التاريخ*، ص 58.
135- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 30.
136- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 52.
137- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 10.

2.2. المستوى التركيبي

التراكيب هي شكل ينتج عن التأليفات اللفظية، وهذا ما قاله عبد القاهر الجرجاني: " الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا في التأليفات ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر، فعددت كلماته عدا كيفما جاء واتفق، وأبطلت نضْده ونظامه الذي عليه بني ... لأخرجته من كمال البين إلى مجال الهذيان ".[138]

ومن خلال تتبعنا لخواطر الطنطاوي، نجد تنوع الجمل بين الاسمية والفعلية مع غلبة الجمل الفعلية، والتنوع بين الأساليب الخبرية والإنشائية، وربما يطغى أسلوب على آخر، وهذا يعود إلى تنوع الموضوعات التي تناولها الكاتب، والتي حاول اختيار التراكيب المناسبة لكل موضوع كتبه، وحسب الهدف الذي أراده من تراكيبه وجمله.

ففي خاطرته في الليل ، يكثر الكاتب من استخدام التراكيب الخبرية؛ لأنه ينظر إلى ما حوله، ويحاول تصوره أمامه، ووصف المشاهد التي تجول في خاطره، إذ يقول: " وجعلت أفكر فأرى الطبيعة ظاهرها كباطنها، لا يضمر الجبل نفاقا، ولا السهل يبطن حقدا، ولا السحاب ينطوي على مكر، ثم أنظر إلى هذه السقوف، التي كانت تبدو بهية براقة يقطر منها النور، بعدما اغتسلت بضياء القمر، فأفكر فيها ... ".[139]

ولم يقتصر في خاطرته على التراكيب الخبرية بل استخدم بعض التراكيب الإنشائية، فاستخدم أسلوب الاستفهام؛ ليثير القارئ في تساؤلاته، ويجعله يعيش معه ذلك الخاطر الذي يعرض له، كما استخدم أسلوب التمني؛ لبث الروح والأمل في نفوس القراء.

إن أسلوب الاستفهام من أكثر الأساليب أو التراكيب استخداما في خواطر الطنطاوي، فقد أكثر من التراكيب الاستفهامية، حتى لا تكاد ترى خاطرة له تخلو من التراكيب الاستفهامية؛ وهذا أسلوب اتبعه الكاتب؛ ليحفز القارئ على البحث عن أجوبة لكل سؤال طرحه، ومشاركة الكاتب فيه.

مع تنوع أدوات الاستفهام التي استخدمها، وتنوع أغراضها حسبما يقتضيه السياق والمناسبة، فكانت تخرج عن معناها الحقيقي إلى الإنكار والسخرية والتشويق والتقرير والتهويل والتحقير والتنبيه والتعجب.

138- عبد القاهرالجرجاني، *أسرار البلاغة*، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001 م، ص 3.
139- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 35.

ومن ذلك خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى التعجب، إذ يقول: " أيربي الرجل كلبا فيفي له؟ ويحسن إلى حمار فلا يرفسه، ويلقي لقمة إلى قط فيعرفه من بعد فلا يعضه**!** " .[140]

ومنه أيضا: " أيكون الكلب والحمار والنمر والقط أوفى من الإنسان؟**!** " .[141]

وقوله: " فيم الهناء؟ وعلام السرور؟ " .[142]

هنا يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى الإنكار، فالكاتب ينكر على الذين يميلون إلى الهناء والسرور بعد كل ما حل بالبلاد جراء المستعمر والمحتل.

ومن أساليب الاستفهام عنده قوله: " أتبلغ الوقاحة باللص أن يأتي ليسرق عرض ابنتي نهارا جهارا، ولا يحق لي أن أحصنها منه بالحجاب الشرعي، وبالتربية الإسلامية، وأن أدافع عن نفسي بالفكر والقلم واللسان؟ " .[143]

فالاستفهام هنا للتنبيه على ضرورة الدفاع عن الفتيات المسلمات وتنبيههن من أولئك المتربصين بهن. وكذلك استخدم الكاتب صيغ النداء والأمر والنهي والتمني متفرقة في خواطره، كما استخدمها مجتمعة في بعض خواطره، ومن أسلوب النهي، قوله: "خدعة ضخمة من خدع الحياة، خفيت عن المحبين من عهد آدم إلى هذا اليوم ... هذه هي حقيقة الحب، فلا تسمع ما يهذي به المجنون".[144]

وقد خرج النهي عن معناه الحقيقي في ذلك التركيب إلى معنى آخر، وهو الإرشاد للشباب.

كما تنوعت تراكيبه بين الجمل القصيرة، والجمل الطويلة، واستخدم الجمل الفعلية التي أعطت خواطره التجدد والحركة، أما الجمل الاسمية فقد منحت خواطره الثبات والسكون، ومازج بين الجمل الاسمية والفعلية في كثير من خواطره، وهذا التمازج والتنوع في التراكيب أعطى نصوصه إيقاعا جماليا مختلفا؛ ما منح القارئ متعة وتشويقا.

ومن هذا التمازج بين التراكيب الاسمية والفعلية قوله: " فبينما هو منغمس في لج الحياة المضطربة المائجة. يفزع من الوحدة، ويكره الهدوء ... وبينما هو مطمئن إلى هذه الحياة مقبل

140- علي الطنطاوي، *مقالات في كلمات*، ص 40.
141- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 2 / 109.
142- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 107/2.
143- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 207.
144- علي الطنطاوي، *قصص من الحياة*، ص 205.

عليها، إذا به قد استولت على نفسه فكرة صوفية، فغمرت الكآبة روحه وفاض اليأس على قلبه".[145]

وقد أكثر في اقتباساته من القرآن الكريم، فكان ينقل جزءًا من الآية القرآنية، ويغير في بعض مفرداتها، إذ يقول: " تشتركان في لذة ساعة، ثم ينسى هو وتظلين أنت أبدا تتجرعين غصصها، ويمضي خفيفا يفتش عن غفلة أخرى يسرق منها عرضها، وينوء بك أنت ثقل الحمل في بطنك، والهم في نفسك ".[146]

وقد اقتبس هذا التعبير من قوله تعالى: (ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولي القوة).[147]

ومنها أيضا قوله: " وما عهد فاروق ببعيد ".[148]

فقد اقتبس هذه العبارة من قوله تعالى: (وما قوم لوط منكم ببعيد).[149]

كما استلهم الطنطاوي بعض عبارته من الأحاديث النبوية الشريفة، إذ يقول: " وجعلت أذكر هل أحدثت في الإسلام حدثا؟ أو آويت محدثا؟ أو جنيت جناية؟ " .[150]

وقد أخذ هذه العبارة من حديث النبي ـ ﷺ ـ عن فضل المدينة، حيث قال: (من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).[151]

وهذا دليل على قدرة الطنطاوي على استخدام التناص[152] وتوظيفه في خواطره، من خلال عملية النقل والتعبير، ومن خلال تفاعل الطنطاوي مع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

والذاتية بادية في تراكيب الطنطاوي من خلال استخدامه أسلوب الالتفات الكلامي لضمير المتكلم في الجمع والإفراد على حد سواء.

ويلحظ استخدام الجمل الاعتراضية في تراكيبه؛ توضيحا لمعنى أو تخصيصا له، إذ يقول: " عمل الأستاذ ـ يا أيها القراء ـ مثل واد بين جبلين، في وسطه جدول صغير ".[153]

145- علي الطنطاوي، *من حديث النفس*، ص 76 - 77.
146- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 150.
147- *سورة القصص*، 76.
148- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 9.
149 - سورة هود، 98.
150- علي الطنطاوي، *مع الناس*، ص 41.
151- محمد بن اسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، فضائل المدينة، رقم:1870
152- اختلف الباحثون في اعتماد إحدى المصطلحَين: الاقتباس والتناص: الاقتباس، إذ الاقتباس مصطلح استُخدِمَ في النقد القديم، أما التناص ففي النقد الحديث.
153- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 5 / 143.

وقوله أيضا: " فإذا زال الغطاء ـ ولابد يوما أن يزول الغطاء ـ وبدا المحجوب من العيوب وظهر المستور ".[154]

فكانت تراكيبه سهلة واضحة بعيدة عن الغموض والتعقيد، محكمة مترابطة، تميل إلى الذاتية باستخدام ضمير المتكلم، كما استخدم التناص من القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

154- علي الطنطاوي، *في سبيل الإصلاح*، ص 201.

1.2.2 التكرار

يقول الجاحظ: " ليس التكرار عيبا مادام لحكمة، كتقرير معنى أو لخطاب الغبي أو الساهي. كما أن ترديد الألفاظ ليس بعيب ما لم يجاوز الحاجة ويخرج إلى العبث ".[155]

والتكرار سمة بارزة في أسلوب الطنطاوي، وهي استجابة لنزعة فطرية عنده، فالإنسان مفطور على حب الإعادة والتكرار؛ لما يلتصق به من مظاهر التكرار، وما يشاهده ويسمعه في الموجودات حوله من المهد إلى اللحد.[156]

فالطنطاوي يهدف في كتاباته إلى التعليم والإصلاح، وهذا لا بد له من التكرار؛ لأنه يوضح الأهداف والمرامي والأفكار.

والتكرار عنده إغناء للنص، فهو يحاول في خواطره إيصال رسالة ذات مغزى ومعنى لقرائه، وهو الذي حمل على عاتقه الإصلاح.

جاء التكرار في خواطر الطنطاوي على صور وأشكال متعددة، فمنها ما كان بتكرار لفظة بذاتها مرتين أو زاد عليها، ومن هذا التكرار قوله: " هذا الذي يصنعه أكثرنا في شهر الصيام، نريح المعدة من الفجر إلى المغرب، فإذا أذن المغرب شمرنا وهجمنا، نشرب ونشرب ونأكل ونأكل، نجمع الحار والبارد والحلو والحامض ... ".[157]

والتكرار هنا لفظة (نشرب ونأكل)؛ ليدلل على شدة نهم الناس وشرههم للأكل والشرب في رمضان.

كذلك تكراره للفظة (عظيم) في حديثه عن صلاة العيد في إندونيسيا، إذ يقول: " حضر صلاة العيد في جاكرتا قوم يزيدون على مئات الألوف، يكَّبرون معاً، ويسجدون معاً، مشهد عظيم عظيم أكررها ثلاث مرات لتأكيدها وتثبيتها ".[158]

تكرار كلمة (عظيم)؛ ليؤكد على عظمة ورهبة ذلك المشهد، وأن الإسلام هو نظام محكم عادل فيه التسامح والمساواة، ويعود في مكان آخر ليكرر لفظة ساعة سبع مرات؛ ليوضح أن عمر الإنسان ما هو إلا ساعات معدودات.

155- أبو عثمان عمرو بن بحر، الجاحظ، *البيان والتبيين*، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، مصر، الحلبي، 1988 م، ص213.
156- أحمد آل مريع، *علي الطنطاوي كان يوم كنت*، ط2، العبيكان، الرياض، 2009 م، 2 / 436.
157- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 119/3.
158- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 137/6.

كذلك كرر لفظة (النار) في قوله: " كنا نقتحم فيه لهب النار، النار التي أشعلها الفرنسيون في دورنا ومساكننا ".[159]

وهدف هذا التكرار هو للدلالة على كثرة الخراب والدمار الذي خلفه الفرنسيون، والنار هي رمز الهلاك والدمار.

والغرض من التكرار هو توجيه المعنى، وتعيين المقصود؛ لتحديده أو تفسيره. وقد يكون التكرار بالترادف؛ وذلك للتأكيد على المعنى وإكساب التعبير دلالية وإيحائية.

ولكل لفظة خصوصية دلالية وإيحائية تميزها عن اللفظة الأخرى، وهذه الخصوصية تحتاج إلى إلمام باللغة، وحسٍّ مرهفٍ حتى يستطيع القارئ إدراكها، ومن ذلك قوله: " ربَّ ثوب في نظرك قديم عتيق بال، لو أعطيته لغيرك لرآه ثوب العيد ".[160]

وتكراره للمترادفات (خانتك وغدرت بك) و (قبيحة وبغيضة)، إذ يقول: " وترى المرأة التي خانتك وغدرت بك، قبيحة بغيضة ".[161]

وقوله أيضا: " وما رأيت أبا وولده واقفين موقف المتقاضيين، إلا قرأت في وقفتهم، أبشع قصة للؤم والنذالة والجحود ".[162] فالمترادفات (اللؤم والنذالة والجحود).

كما وجد في أسلوب الطنطاوي ترادف الجمل، وهو نوع من التكرار، كقوله: " فهو يعانقها والنفس بعد مشوقة إليها، ويضمها وهو يحس أنه لا يزال بعيدا عنها ".[163]

فالترادف بين جملة (يعانقها ويضمها).

وقد أكثر الطنطاوي من تكرار المواضيع بسبب ضعف سيطرته على المادة التي يكتبها؛ ولغزارة تأليفه، والمدة الزمنية الطويلة التي كتب بها، مما جعله ينسى بعض ما كتب، وتختلط عليه المواضيع والحوادث؛ فالموضوع الذي يتم استدعاؤه من الذاكرة، يصبح الأسبق إلى الذهن من الموضوع الذي لم يكتب من قبل، وهذا ما جعل الأفكار تتسابق إلى ذهنه فيكررها في كتاباته.

159- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 225/5.
160- علي الطنطاوي، *مع الناس*، ص 8.
161- علي الطنطاوي، *قصص من الحياة*، ص 169.
162- علي الطنطاوي، *مقالات في كلمات*، ص 39.
163- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 114.

كذلك توالي المناسبات وتجددها سبب رئيس في تكرار المواضيع عند الطنطاوي، فقد كان يراجع نفسه في بداية كل سنة هجرية، ويقوم بمراجعة للذات والأفكار، ما يجعله يكرر الموضوع، وأهمية الموضوع تجعل الكاتب يكرره، فقد تحدث عن الحب وآثاره الايجابية والسلبية على الشباب والمجتمع في كتاب (قصص من الحياة)، وعاد ليكرر هذا الموضوع في (الذكريات الجزء الأول)، وفي كتابه (صور وخواطر) كذلك كان له حديث عن الحب.

وقد تحدث عن دمشق، وهي التي كانت في خاطره لا تفارقه، فكرر الحديث عنها غير مرة بدافع الحنين والحب، ورغم أنه كرر العديد من المواضيع إلا أنه في كل تكرار كان يظهر فائدة أو مشكلة يزيد في توضيحها وتحليلها.

2.2.2 الاستطراد

عرّف النقّاد القدامى الاستطراد بتعريفات مختلفة فقد قال أبو هلال العسكري: "الاستطرد: أن يأخذ المتكلم في معنى، فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سببا له".[164] وقد اعتبروه من بلاغات الكلام شعراً ونثراً، أما النقد الحديث فقد اعتبر الاستطراد عيبا من عيوب الكتابة؛ لأنه يقلل من جماليات العمل الأدبي، وهو دليلُ ضعفِ الكاتب، وعدم قدرته على السيطرة على أحداث العمل وأجزائه.[165] وهذا رأي يعتمد على زاوية جمالية واحدة تنظر إلى تجانس العمل الأدبي ووحدته الفنية والموضوعية.

الأثر الأكبر في المتلقي يعود لشخصية الكاتب، والظروف التي نشأ العمل فيها، والأسلوب المتبع في تقديمه، وليس التأثير للنص من حيث كونه كلمات وحروف وعلاقات مترابطة.

والطنطاوي كان كاتباً حراً حرية كاملة، ومما لا شك فيه أن هذه الحرية هي السبب الرئيس والدافع إلى استطراد الطنطاوي في كتاباته، وهذا يعين الكاتب على إظهار ما في نفسه من خواطر. وقد أقر هو نفسه بوجود الاستطراد في كتاباته، إذ يقول: " أعرف أن من عيوبي الاستطراد، ولكني لا أملك التخلص من هذا العيب، ولعله من أثر إدمان النظر في كتب الأدب العربي القديم. كتب شيخنا الجاحظ ومن نحا منحاه واتبع أثره. وأنا عاكف على هذه الكتب أنظر فيها لا أفارقها من يوم تعلمت القراءة إلى أن جاوزت الثمانين".[166]

واعترافه هذا دليل على أنه قد فهم أن الاستطراد لون فنيٌّ يحمل في طياته أهدافا وغايات مختلفة، لا يدركها إلا من تمكن من اللغة.

وقد أوضح الطنطاوي هذه الفكرة، إذ يقول: " لقد خرجت عن الخط، لكن لا كما يخرج القطار عن القضبان، فينهار ويسبب الهلاك والدمار، ولكن كما يميل المسافر إلى الواحة فيها الظل والماء، فيجد فيها الراحة والري. فعفوكم إن جرتني مناسبة إلى سرد قصة ليست من صلب الموضوع، ولكن أرجو أن يكون من سردها متعة أو منفعة ... ".[167]

فالهدف والغاية من الاستطراد عند الطنطاوي هو المتعة والفائدة، وليس ضعف السيطرة، وإضاعة الحديث. وهو وإن أقر بأنه يلجأ إلى الاستطراد وأنه عيب، لا ينكره، إلا أنه قصد التنبيه

164- أبو هلال العسكري، *الصناعتين*، تحقيق محمد علي البجاوي، ط2، دار الفكر العربي ص 398.
165- أنيس مقدسي، *الفنون الأدبية وأعلامها*، ط6، بيروت، دار العلم للملايين، 2000 م، ص 560.
166- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 8 / 187.
167- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 1 / 196.

إلى أن الاستطراد هو منهج في الكتابة، لا يمتلكه إلا كاتب مبدع متح من الكتب القديمة ككتب الجاحظ وغيره.

لقد وعى الطنطاوي الاستطراد منهجا وانتهجه في كتاباته، واستطاع توظيفه خدمة لرؤيته وتصوره عن الموضوع الذي يكتب عنه، ويبدو هذا واضحا في خواطره عن التربية والتعليم، حيث عرض أفكاره ضمن ما يثيره موضوعه الأساس ليفاجئ القارئ بموضوعات أخرى لا علاقة لها بالفكرة العامة وتؤثر فيه دون عناء أو تعب، وكان حريصا على هذا المنهج في الكتابة، وهو لا يستخدم الاستطراد؛ لإطالة الوصف والشرح والتحليل والتفصيل، وإنما لأغراض النصح والتعليم.[168]

ومن تلك الاستطرادات عند الطنطاوي، خروجه من وصف الأشجار على جانبي الطريق إلى مدينة سقبا عند مرور السيارة إلى الحديث عن الحركة والسكون، إذ يقول: " أما متعته؛ فلأنه يضطجع على بساط ممدود على هذه الأرض المباركة على جانبيه الأشجار صفوفا وراء صفوف لا يدرك البصر آخره، كأنه الجند قامت تحيي القادمين، تظلل حواشيه فروعها المزدانة ببارع الزهر أو يانع الثمر.

وتمر بها في السيارة متقدما فتبصرها تمر بك وهي راجعة كالراكب في القطار يرى المزارع تمشي، ويرى نفسه قاعدا، وكالواقف في المصعد يبصر البيوت هي التي تنزل لا يشعر أنه هو الذي يصعد. والحركة والسكون من الأسرار التي نظن أننا كشفناها وما كشفناها، ولو لم يكن في الفضاء إلا نقطتان تتحركان، فكيف تعرف أي النقطتين هي الثابتة وأيتها المتحركة؟ كيف أنك لا تميز فيهما الحركة من السكون إلا إن كان أمامك نقطة ثالثة ثابتة، تقيسهما بها.

فالحركة والسكون أمران نسبيان لا نعرف ماهيتهما ولا ماهية المكان المطلق والزمان، ولما بلغت سقبا تركت المكان ومشيت ".[169]

ومن استطراداته خروجه من ذكر الحوادث والأخطار إلى الحديث عن الرزق المقدر.[170]

وهذا الاستطراد لا يبتعد عن الموضوع الرئيس في الخاطرة لدرجة أن القارئ لا يشعر بهذا الخروج؛ لأن الكاتب ما يلبث أن يعود إلى الموضوع.

168- أحمد آل مربع، *علي الطنطاوي كان يوم كنت*، 1 / 270.
169 - علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 2 / 264.
170- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، 1 / 196.

كما أكثر الطنطاوي في خواطره من الاستطرادات اللغوية، منها ما قاله عن التقدمية: "والذي أفهمه أنا أن التقدمية مشتقة من التقدم، والرجعية من الرجوع، فالذي يمشي إلى الأمام هو التقدمي والذي يرجع إلى الوراء هو الرجعي ".[171]

وكانت له استطرادات فلسفية حاول من خلالها إيداع تجربة طويلة أو فكرة تراوده في سياقات معينة، منها حديثه عن العواطف والحرب، إذ يقول: " إن أجمل آثار الكاتب أو الشاعر هي التي لم يكتبها. ومتى كانت الكلمات تسع العواطف والأفكار، بل متى كانت تسجل كل يوم مشاهد الكون فضلا عن مشاعر النفس؟ أعتقد أن تسجل ألوان الغروب. وكم كتب الكتاب في الحب، فهل أحاطوا بمعاني الحب؟ هل أدركوا أسرار الجمال؟

هذه الكلمة المؤلفة من حرفين اثنين: الحاء التي تعبر عن الحنان، والباء الساكنة التي ترى الفم وهو ينطق بها مجموع الشفتين، كأنه متهيء لقبلة، هل تحيط كلمة الحب بأشكال الحب؟ الأم تحب ولدها ... والرابع يحب ركوب البحر والخامس يحب المدمس بالزيت لا بالسمن، وقيس يحب ليلى، أفهذا كله حب واحد؟ وحب الله الذي هو جوهر الإيمان، أترونه يشبه ما ذكرت من أنواع الحب؟

والجمال، جمال الطبيعة، وجمال البلاغة وجمال الشيخ الوقور، وجمال المرأة الحسناء، هل هو جمال واحد؟ ولو جئت بمائة جميلة؛ لوجدت مائة جمال، كل له طعم وكل له لون، وكل من نوع، وما عندنا لذلك إلا كلمة واحدة، لذلك نعمد إلى الأوصاف، فنقول: هذا جمال بديع، وهذا جمال وحشي، وهذا شهواني، وهذا ما لست أدري.

إن لغات الأرض تعجز عن التعبير عن مشاعر النفوس، فكيف نريد منها أن تعبر عن عالم ما وراء المادة، عن عالم الغيب؟ " .[172]

يحاول الطنطاوي في هذه الخاطرة الاستطراد في الحديث عن فلسفة الحب، ويطرح هذه المسألة من خلال طرح الأسئلة والإجابة عنها، بأسلوب فلسفي بسيط واضح، دون الوصول إلى نتيجة واضحة، تاركا النتيجة لتصور القارئ وموقفه.

ويطرح في هذا الإطار آراءه وأفكاره في سياق من الذاتية الخالصة، مما يزيد الأمر تعقيدا، إذ يقول: " ليست الشهرة نعمة يستراح إليها ويحرص عليها ... لقد فقدت شخصيتي، وكدت أنسى وجودي، وأضعت هنا الآن حريتي.

171- علي الطنطاوي، *مقالات في كلمات*، ص 119.
172- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 1 / 110.

أمَا من منزلة بين المنزلتين؟ هل خلت الدنيا من التوسط والاعتدال؟ أكتب علي أن أعيش في الظلمة حتى لا أكاد أبصر طريقي، أو أحدق بعيني في عين الشمس فلا أرى شيئا؟ إني لأعجب ممن يسعى إلى الشهرة، ويراها شيئا جميلا. فالشهرة: هي أن تتفتح عليك الأعين كلها، ويراقبك الناس جميعا، فتفقد بذلك حريتك ".[173]

وقد جذبت هذه الاستطرادات الفلسفية القراء إليها؛ من خلال كثرة التراكيب الاستفهامية والتي تحملهم على التفكير والتأمل بها لإدراك الحقائق من حولهم، تلك الحقائق الغائبة عنهم من خلال طرحه لشواهد وصور واقعية.

173- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 8 / 205.

3.2. المستوى الدلالي

لقد اعتنى الطنطاوي بلغته اعتناء خاصا؛ لأن اللغة هي الوسيلة المؤثرة والمعبرة عما يجول في خاطر الكاتب، وهي الناقلة لأفكاره ومعانيه.

والطنطاوي رغم عفويته وبساطته، وعدم تكلفه في الكتابة كان يملك سجية يستطيع من خلالها تذوق الكلمات والإحساس بها، وحسن التعامل معها كتعامل الرسام مع ريشته وألوانه، فكان ينتقي بعفوية وسليقة الكلمات الدقيقة من بين عدد كبير من الألفاظ من قبيل المترادفات؛ لامتلاكه أدواتِ اللغة وموسوعيته في علم اللغة.

فيقول في إحدى خواطره في الذكريات عن مدينة دمشق: " طفت في هذه الشوارع المتشابهة أفتش عن دمشق التي عرفتها وأحببتها، ومن يعرف دمشق تلك ويملك نفسه ألا يحبها".[174]

فكلمة (أفتش) تدل على شدة لهفة الكاتب وصدق رغبته، ولوعة الحنين لمدينة دمشق، فلا يمكن أن تقوم لفظة أخرى بما توحيه لفظة أفتش، فالكاتب لا يفتش عن دمشق بل يتفقد مرتع أحلامه وصباه التي تغيرت معالمه.

ومن براعته اللغوية أيضا استخدامه للفظة (آضت) وما لها من دلالات ومعاني لا يلم بها إلا من كان متقنا للغة ملما بمعاني ألفاظها، إذ يقول: " هناك وراء الأموي كانت الدار الخضراء، فنزلت الأخلاق من بني أمية، وكانت أمنع من النجم، وأبهى من الشمس، وكانت سُرَّة الأرض ... فآضت اليوم مصبغة صغيرة حقيرة، وسترجع المصبغة قصرا ثم يصير القصر مقبرة ".[175]

فكلمة (آضت) تحمل دلالة كبيرة لما آلت إليه القصور التي سكنها الأمويون، فتحولت تلك القصور العظيمة المنيعة إلى مصابغ لصبغ الجلود، وتحولت تلك الدور من قصور منيعة إلى مجرد أماكن للصبغة، وآضت كلمة ترد للدلالة على تحول الشيء من حال إلى حال.

فألفاظه وكلماته تعبر عن المعاني التي يريدها ببساطة وسهولة إذا كان المعنى واضحا، وكانت تحمل في طياتها تلميحات مختلفة حسب موضوع الخاطرة التي يكتب عنها.

تعبر الكلمات التي أوردها عن الفصول الأربعة عن شوقه إلى الماضي وحنينه إلى وطنه وشبابه، فيقول: " ينتهي الصيف، ويأتي الخريف، فيصفرّ الورق ويسّاقط، وترجع الشجرة حطبا،

174- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 3 / 157.
175- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 3 / 165.

وتصير أيام الربيع ذكرى. ولكن الشجرة يتجدد ربيعها ... وإن شتاءها يلد ربيعا جديدا، وربيع حياتي الذي ولى لا يتجدد ".[176]

ولشدّة شغفه باللغة العربية كان حريصا على ترجمة بعض المصطلحات وتعريبها، حتى غدت من مميزات قاموسه الدلالي، فـــ (الرّاد) عنده هو (الراديو)، وهو اسم فاعل من فعل ردّ ومُشاكل للراديو مبنى ومعنى لأنه يرد الكلام ويردّدُه. و (الرائي) عنده هو (التلفزيون)..

إجمالاً يكاد القاموس الدلالي للشيخ الأديب يتنوع تنوع موضوعات كتاباته، فهو يحرص على وضع الألفاظ التي تناسب كل مقام، ويأبى أن يُقحم في العربية ألفاظا تكون دخيلة عليها، أو مسيئة لجماليتها، أو لا تؤدي الغاية منها وهي تبليغ الرسالة التي يرى أن الكاتب والأديب مؤتمن عليها، ويمكن أن نلمس هذا التنوع من خلال التصنيف الآتي:

ألفاظ الطبيعية	خضرة – شجر – جميلة – الشمس – الأرض – الصيف – الخريف – الورق – الربيع
المجتمع	صداقة: صديقي – عرفته – صادقني – وفاء نفاق: غدر – عداواة – خيانة – غش
النفس	ذات – أنا – نحن – إني – إنني – العواطف
السياسة	استعمار – مقاومة – حزب – الكتلة الوطنية
الإعلام	الراد – الرائي – الصحف – المجلات
الأدب	الأقلام - الشعر – القراءة – الكتب

176- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 2 / 233.

التناص

التناص مفهوم جديد ظهر في الأدب العربي الحديث، ولا بد من توضيح هذا المفهوم وتعريفه حسب رأي النقاد. فالتناص لغة: هو مصدر الفعل (تناصّ) على وزن تفاعل ويدل على المشاركة، وفي معجم تاج العروس، تناصّ القوم: ازدحموا.[177]

ونقرأ أيضاً: تناصى يتناص تناصيا، فهو متناص وتناصى القوم أخذ بعضهم بنواصي بعض في الخصومة. وهبت الريح وتناصت الأغصان: علقت رؤوس بعضها ببعض.[178]

وقد عرف الأدباء العرب التناص قديما إلا أنهم أطلقوا عليه تسميات عديدة، وسنورد بعضها مع توضيح موجز لها:

الاقتباس: وهو " أن يُضمِّن المتكلم كلامه من شعر أو نثر كلاما لغيره بلفظه أو بمعناه، ... دون أن يعزو المقتبِس القولَ إلى قائله ".[179]

والاستشهاد: وهو غالبا ما يكون بالقرآن الكريم والحديث النبوي، وفيه ينبه الأديب على الكلام المستشهد به، ويعرفه القلقشندي بأن: " يضمَّن الكلام شيئا من القرآن الكريم، ويُنبَّه عليه".[180]

أما **التضمين**: فهو أن يضمَّن الكلام كلمة من آية أو حديث أو مثل سائر أو بيت شعر.[181]

وكذلك يسمى التلميح وهو كالتضمين في المعنى. هذا ما يخص التسمية قديما.

ورغم كثرة المصطلحات المستعملة في هذا الموضوع إلا أنها جميعا تقع تحت مفهوم التناص، كما يقول سعيد يقطين: "إننا نستعمل التفاعل النصي مرادفا لما شاع تحت مفهوم التناص أو المتعاليات النصية كما استعملها جنيت بالأخص ".[182]

أما علي الطنطاوي فقد أكثر من الاقتباس من القرآن الكريم والحديث، كما اقتبس من الشعر والمثل والحكمة والعامي والفصيح. فكان يأخذ الألفاظ بذاتها أحيانا، وأحيانا يأخذ المعنى

177- محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*، مجموعة من المحققين، دار الهداية
178- أحمد مختارعبد الحميد، عمر، معجم *اللغة العربية المعاصرة*، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2224/3.
179- عبد الرحمن حبنكة الميداني، *البلاغة العربية*، ط1، دمشق، دار القلم، 1996، 537/2.
180- أحمد بن علي القلقشلندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، دار الكتب العلمية، بيروت، 237/1.
181- شهاب الدين النويري، *نهاية الأرب في فنون العرب*، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ،126/7.
182- سعيد يقطين، *انفتاح النص الروائي*، ط2، المركز الثقافي العربي، 2001م، الدار البيضاء، ص 92.

ويصيغه بأسلوبه، ومن التناص عند الطنطاوي: اقتباسه من القرآن الكريم، بقوله: " ذلك لتعلموا أن حياة الإنسان لا تقاس بطول السنين بل بعرض الأحداث ".[183]

ومعنى هذا الكلام مقتبس من قوله تعالى: (... لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم).[184]

وكذلك قوله: " هل أتاكم نبأ من في أطراف اليمن ".[185] وهذا التناص لألفاظ بذاتها وليس تناص بالمعنى، وهو تناص مع قوله تعالى: (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب).[186]

ومن التناص في الأسلوب والتعبير، قوله: أيها الشريف عدنان، لا تغتر وقد ورثنا القصر وورثت القبر، وهدمنا ما بنيت وبنينا ما هدمت، وما هدمت ـإذ هدمت ـ إلا مجدك في التاريخ، وأجرك في الآخرة".[187]

وقد تناصّ هذا الأسلوب مع أسلوب الآية الكريمة: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى).[188] وهذا التناص للأسلوب والتعبير دون المعنى.

أما تناصّه مع الحديث الشريف، قوله: (إن نساءنا خير نساء الأرض، وأوفاهن لزوج، وأحناهن على ولد، وأشرفهن نفسا، وأطهرهن ذيلا، وأكثرهن طاعة وامتثالا وقبولا لكل نصح نافع وتوجيه سديد ".[189] ففي هذه العبارة تناصَّ الطنطاوي بعض معانيه من الحديث الذي قاله رسول الله ـ ﷺ ـ: (خير نساء ركبن الإبل صوالح نساء قريش: أحنها على ولد في صغره، وأرعاها على زوج في ذات يده).[190]

ومن ذلك حديثه عن الإنجليز والفرنسيين، بقوله: " الإنجليز في الطيش كالفرنسيين، وإذا هما كحماري العبادي في المثل القديم، قيل له: أي حماريك شر؟ قال: هذا ثم هذا ".[191]

ويضرب هذا المثل في شيئين أحدهما شر من الآخر، وقد أراد الطنطاوي من هذا المثل التلميح إلى شر المحتلين، فكلهم متشابهون.

183- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 66/1.
184- *سورة المائدة*، آية 97.
185- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 152.
186- *سورة ص*، آية 21.
187- علي الطنطاوي، *من نفحات الحرم*، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م.ص 71.
188- *سورة الأنفال*، آية 17.
189- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 45/3.
190- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، بيروت، دار طوق النجاة، 1422، 134/3.
191- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 152.

وقد استطاع الطنطاوي أن يوظف التناص؛ لخدمة أهدافه التي يريد إيصالها لقرائه؛ وليكون كلامه أكثر إقناعاً للقراء.

الفصل الثالث:

البنية الفنية للخاطرة عند الطنطاوي

3. البنية الفنية للخاطرة عند الطنطاوي

1.3. الصورة الفنية

تؤدي الصورة الفنية دورًا كبيرًا في صياغة العمل الأدبي سواء أكان شعرًا أم نثرًا؛ لأن العمل الأدبي يأخذ تأثيره، فيما يقدمه من فكر وعاطفة وحسن تصوير وبيان، وهذا ما يفرق بينه والكلام العادي.

وتؤدي الصورة الفنية بشكل بارز مهمتها في توضيح المعنى وإبرازه، وتقريبه إلى أذهان القراء. كما تقوم بإعطاء الكلام صورة جميلة تحرك المشاعر، وتثير الأحاسيس، وتهيج النفس وتسعدها، أو تأخذها نحو الحزن والأسى.

ويعرف الدكتور علي البطل نقلاً عن إبراهيم الغنيم الصورة الفنية بأنها: " تشكيل لغوي يكونه خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية".[192]

وللصورة تعابير اصطلاحية كثيرة حسب استعمالها، وهي في الاصطلاح البلاغي، الصورة البلاغية والصورة البيانية والصورة البديعية والصورة التركيبية، ولكن أكثر ما يعبر عنها في البلاغة بالصورة البلاغية أو البيانية؛ لسعة المدلول.[193]

والصورة ملازمة للخيال. فهي من عمل الخيال، وهما أي الصورة والخيال، من أهم عناصر العمل الأدبي من الناحية الفنية.[194]

ففي العصر الحديث شاع استخدام مصطلح الصورة الفنية، وبرزت مكانتها في الأعمال الأدبية؛ كونها الأقدر على نقل الأفكار العميقة، والمشاعر الكثيفة في أقل وقت، وأوجز عبارة، وأضيق حيز، كلما أمعن الناظر فيها وجد أفكاراً جديدة، ومشاعر متجددة.[195]

وبهذا تأخذ الصورة الفنية أشكالاً متعددة، فمنها ما يقوم على السمع أو الذوق أو اللمس أو الشم، وقد تخرج الصور من الحس إلى أشكال أخرى وجدانية، أو تهيؤات وأوهام تدرك بتظافر مجموعة من الحواس، وقد تأخذ الصورة شكل الرمز أو الأسطورة.

192- ابراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، *الصورة الفنية في الشعر العربي*، القاهرة، الشركة العربية، ط1، 1996 م، ص63.
193- التونجي، *المعجم المفصل في علوم اللغة والأدب*، ط1، دار الكتب العلمية، دمشق، 1993م، ص 272.
194- محمد غنيمي هلال، *النقد الأدبي الحديث*، ط2، دار نهضة، مصر، القاهرة، 1996 م ص 11.
195- علي صبح ، *البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر*، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1416 هـ، ص 34.

اعتمد الطنطاوي في أدبه على الصورة الفنية اعتماداً يلحظه المتتبع لأدبه. بُغْيَةَ االتأثير على القارئ فجاءت صوره بعيدة عن التكلف في استحضارها مع وجود العاطفة خاصة لأن بين العاطفة والخيال ارتباطا وثيقا، فهو الذي يصورها ويبعث مثلها في نفوس القراء والسامعين، وقوته مرتبطة بقوتها.[196]

لقد حدد الطنطاوي مهمة الصورة بتصويره مشاهد الحياة ومشاعر النفس، إذ يقول: " ما أنا إلا مصور يتأبط آلته، يطوف بها، يصور مشاهد الحياة ومشاعر النفس ".[197]

وربما كان الطنطاوي يتصنع في بداية أعماله؛ ليظهر مقدرته الأدبية، ولاسيما أن المرحلة التي عاشها في مصر، تطلبت منه إثبات مقدرته الأدبية إزاء كبار الأدباء كالرافعي والمنفلوطي، إذ يقول : " حتى إذا غاصت الشمس في لجها، ونشر الكون ثوبه الأسود ؛ ليلقيه حدادا عليها، قذف الله الروح في هذا التمثال، فصحوت ونظرت إلى القرية وكأني أنظر إليها من نافذة قصر لا من مدخل وادٍ، فرأيت رؤوس الأشجار وذُرى البُنى، وهي لا تزال متوجة بإكليل من العَسْجَد[198] مصنوع من أسلاك النور، فنهضت لأدخلها قبل أن يسدل الظلام حجابه عليها، فيسد طريقي إليها، وهممت بوداع هذه البقعة التي استحال ما فيها من سكون، وما لأمواهها من خرير جميل هادئ إلى مفزع رهيب، منذ استحالت حلته الزاهية، حلة من الظلام".[199]

وقد أدرك الطنطاوي أن الصورة الأدبية الجميلة، هي تلك الصورة التي تكون بنت الواقع والخيال، تأخذ حقيقتها من الواقع وتستمد غرابتها من الخيال. فالطنطاوي فيما كتب يتخيل أن الكون إنسانٌ ينشر ثوبه الأسود حزنا على غياب الشمس.

أما رؤوس الأشجار والأبنية، فقد جعل لها من أشعة الشمس تيجانا، وربط بين هذه العناصر الثلاثة، فأخرج منها صورة فنية متخيلة، تأخذنا من مستوى الواقع إلى مستوى التعبير الفني.

واستطاع أن يزين صوره بألوان تُضفي الجمال والبهاء عليها، فالليل ثوب أسود، ورؤوس الأشجار ملونة بلون الذهب، وتاجها النور الأبيض الساطع من الشمس. فكانت صورته مفعمة بالحركة، إذ بث الحركة والحياة في الجمادات وبعث فيها المشاعر والأحاسيس؛ لتصبح لوحة فنية متكاملة.

196- أحمد الشايب، *أصول النقد الأدبي*، ص 223.
197- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 1 / 123.
198- العسجد: الذهب. ابن منظور، لسان العرب، 290/3.
199- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 3 / 154.

وقد استخدم الطنطاوي عددا من الوسائل والأدوات في تشكيل صورة ورسمها، ولعل من أهم تلك الوسائل التشبيه.

التشبيه:

ويعرف التشبيه في علم البلاغة بأنه: " مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة ".[200]

ولم يلتزم الطنطاوي منهجا معينا في رسم الصورة، ولم يهتم بقواعد المذاهب فقد كان حرا يفتخر بحريته ويعتز بنفسه، فلم يقـيّدْ نفسه بقواعد النقاد وتحليلاتهم، فكان همه الوحيد أن يوصل ما يكتب إلى نفس السامع، وأن يترك أثره في القارئ.

وقد يتضح تداخل المنهج الفني مع المنهج النفسي في بعض صوره، وهذا التداخل يضفي على الصورة لونا وطابعا مختلفا. فاستطاع أن يقدم لنا إحساساته النفسية في كلمات طرقت أسماعنا، معبرا عن ذلك في صوره الفنية التي نقل بها أحاسيسه الذاتية والفردية والعامة والشخصية.

و لنقرأ ما كتبه في إحدى خواطره (أعرابي في حمام) بعد عودته من الحجاز، يبدأ بتصوير عواطفه الذاتية في تفاعله مع البيئة المحيطة به جامعا بين المادة والانفعال، وينتقل بالقارئ لمشاركته مشاعره وأحاسيسه، فكان ذلك في تتابع الوصف، وتلون الألفاظ وتنوعها، لينتقل بعدها، لتصوير مشاعر الآخرين الغريبة، إذ يقول : " وأخذني فأدخلني دارا قوراء في وسطها بركة عليها نوافير يتدفق منها الماء، فيذهب صعدا كأنه عمود من البلور، ثم يتثنى ويتكسر كأنه الألماس، له بريق يخطف الأبصار، صنعة ما حسبت أن يكون مثلها إلا في الجنان، وعلى أطراف الدار دكك كثيرة مفروشة بالأسرة والمتكآت والزرابي كأنها خباء الأمير ... وكان صاحبي قد تعرى، فأخذ بيدي وأدخلني إلى باطن الحمام، فإذا غرف وسطها غرف وساحات تفضي إلى ساحات ومداخل ومخارج ملتفة ملتوية....

وهي مظلمة كأنها قبر، قد انعقدت فوقها قباب، وعقود فيها قوارير من زجاج، تضيء كأنه النجوم اللوامع في السماء الداجية، وفي باطن الحمام أناس عري جالسون إلى قدور من الصخر فيها ماء ". [201] ففي هذه الصورة يمزج الطنطاوي المنهج النفسي بالمنهج الفني ويصور خلجات النفس وعواطفها في إطار الواقع البسيط، بأسلوب جميل ومعبر وبكلمات موحية. فتشكل كل جملة منها صورة بذاتها وفي مجموعها تشكل لوحة فنية مؤثرة بروعتها.

200- أحمد الهاشمي، *جواهر البلاغة*، ص 219.
201- علي الطنطاوي، صور وخواطر، ص 75.

إن أكثر صوره مأخوذة من الواقع، إذ يصف لنا الطنطاوي ما يجده أمامه، ومما يزيد روعة صوره وجمالها سعة مخيلته التي يجمع بين عناصر الصورة؛ لينتج لنا صورة ساحرة، ولنتأمل الصورة التي رسمها لعمل المعلم، إذ يقول: " عمل الأستاذ ـ أيها القراء ـ مثل وادٍ بين جبلين، في وسطه جدول صغير لا يستطيع السائح أن يصل من جبل إلى جبل حتى يقطع الجدول، وليس على الجدول جسر يجتاز الناس من فوقه، فقام عليه من يجيز المسافرين ينقلهم من ضفة إلى ضفة حتى يصل بأحدهم إلى الجانب الآخر. ثم يؤم الجبل صُعدا، فيبلغ منهم ناس عالية، وهو لا يزال في مكانه ".[202] فالطنطاوي ربط الصورة بالواقع وانتزع منه عناصر الصورة وأجزاءها وجمع بينها بشكل جميل مخرجا صورة فنية متكاملة العناصر والأجزاء.

كما استخدم التشخيص والتجسيم في صوره، فقد يلبس الأشياء المعنوية لباسا حسيا ويسبغ عليها صفة الجمادات. ففي التشخيص حياة وحركة، فعندما يلبس الأشياء المعنوية أو الجمادات الصفات البشرية فإنه يجعل منها أشخاصا تضج بالحيوية والحركة، فلا يشعر القارئ إلا وأنها أمست كائن حي يؤثر في نفسه ويحرك مشاعره.

ولنأخذ مثالا على ذلك صورة الصحراء والسهول، إذ يقول: " فالصحراء الواسعة قد سكرت وتغلغلت في الظلام منفردة تحلم بالظل والماء والسهول المجاورة راحت تحلم بربيع دائم، وعاد الأمس حيا حالما بالخلود وأطل الغد نشوانَ يحلم بليلة مثل هذه الليلة ".[203]

لقد شخص الطنطاوي الجمادات ومنحها الصفات البشرية وجملها بالأحاسيس والمشاعر، فالصحراء إنسان شرب الخمر فأخذته النشوة إلى أماكن بعيدة، والأمس إنسان يحلم بالخلود، والغد منتشٍ بهذه الخمرة ينتظر ليلة أخرى ينتشي بها أيضا.

ولاريب أن الطنطاوي يدرك قيمة الحركة في الصورة والابتعاد عن الجمود، فالصورة المتحركة أكثر تأثيرا في النفس، فالنظر إلى الصورة الفوتوغرافية المطبوعة على ورقة لا يمكن أن يكون لها نفس التأثير فيما لو عرضت تلك الصورة متحركة، فالصورة الجامدة لا يمكن مقارنتها بالصورة المتحركة من حيث القدرة على التأثير.

الطنطاوي يضفي على صوره ألواناً تلائم موضوعاته ونلاحظ هذا فيما كتب عن مدينة دمشق، إذ يقول: " والأشجار على ضفاف الأنهار كلها، والشلالات تنحدر من الأعلى إلى الأدنى

202- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 2 / 154.
203- علي الطنطاوي، *من حديث النفس*، ص 115.

تتكسر على الصخور وتتحطم. تخالطها أشعة الشمس فيكون لها بريق ولمعان كلمعان الألماس ... وعن شمائلنا الفضاء الرحب تملؤه الغوطة كبحر ماله آخر، أمواجه خضر ".[204]

فاللمعان يشير إلى شدة البياض، وأشعة الشمس توحي إلى البياض المزهر والغوطة خضراء، وماء الشلال المنهمر كأنه عناقيد من الزجاج يتحطم فوق صخور الأرض الصلبة الصامدة.

وكان الطنطاوي يطرح مشاعره وأفكاره وأحاسيسه في صوره، فيستثير عواطفنا، فنحس بإحساسه ونشعر بشعوره، فيبلغ غايته التي من أجلها رسم الصورة، إذ يقول: " وازداد الرعد قوة وهزيما، وعق البرق وتكلخ، وأغدقت السماء وجادت وعصفت الريح، وأعجت وجنت الدنيا جنونها، فنظرت ماء السيل قد جرف قبر عثمان فلم يبقَ له من أثر. فقلت أطبقي يا سماء، وتشققي يا أرض، وتصدعي يا جبال، إن من ملكوا العالم لا يجدون القبور ".[205]

من الصور الأخرى التي بث فيها الحياة، وجعل الطبيعة الصامتة، تضحك وتلعب، قوله: "ولما أضاء النهار وبدت عين الشمس، تضحك للدنيا من نافذة الأفق فتضحك للقائها الدنيا ".[206]

وهناك العديد من الصور التي جعل الطنطاوي فيها الجوامد شخوصًا وبث فيها الحركة والحياة والعواطف. وكذلك قوله: " هذه هي الدنيا علو وانخفاض وقوة وضعف نهار مضيء بعده ليل مظلم وشتاء باكٍ بالمطر بعده ربيع ضاحك بالزهر ".[207]

مصادر الصورة الفنية عند الطنطاوي:

فالطنطاوي استقى صوره في جميع كتاباته من الثقافة والبيئة، والبيئة كل ما يحيط بالإنسان ويؤثر فيه، كالمكان الذي يعيش فيه وما له من تأثير عليه كالطبيعة والجماد والأحياء وغيرها، والزمن وما فيه من تقلبات للأحداث ومستجدات وعادات وتقاليد.

ومن الطبيعي أن يتأثر الطنطاوي ببيئته، وهو ابن تلك البيئة الشامية الخصبة الرائعة الجمال، بخضرتها وأوديتها وأنهارها وجبالها، فكان لابد أن تكون المصدر الملهم لكثير من صوره.

204- علي الطنطاوي، *دمشق صور من جمالها وعبر من نضالها*، ص 44.
205- علي الطنطاوي، من نفحات الحرم، ص 130.
206- علي الطنطاوي، ذكريات علي الطنطاوي، 6 / 152.
207- علي الطنطاوي، ذكريات علي الطنطاوي، 1 / 89.

ومن تلك الصور ـ التي يستمدها الطنطاوي من بيئته الجميلة النضرة ـ تصويره للبيئة الشامية، إذ يقول: " هنا مدرج من الرفوف الخضر يستدير من حول ينبوع وعلى جنباته الزهر، تخطر أشجاره المثمرة على تلك السفوح المخضرة، كتخاطر الصبايا في القرية على طريق الينبوع، فإذا درت حول الهضبة، رأيت بستانا كأنه سُرِقَ من الغوطة، فأُلقِيَ به في ذلك الوادي، فإذا هبطت الوادي وأبصرت نهرا متحدرا جياشا، تتكسر مياهه في شعاع الشمس، يسير من حول التل، يبرق مثل بريق عقد الألماس حول عنق الكاعب الغيداء ".[208]

كما اعتمد في خواطره على ما يراه أمامه، فكان يصوره بدقة بارعة، وهذا ما يسمى بالصورة البصرية، ومن ذلك قوله: " صعدت الترام امرأة عجوز متصابية متبرجة، كأن وجهها خريطة حربية من كثرة الخطوط المرسومة عليه والألوان، ففوق عينيها خطان أسودان مقوسان وعلى خديها بقعتان حمراوان وشفتاها، كأنهما غمستا بالماء المغلي، فاحترقتا ثم نزفتا فاجتمع عليهما الدم متجمدا فظيعا فلم تعودا شفتين، ولكن صارتا والعياذ بالله آفتين مشوهتين، وأظافر يديها كأظافر ذئبة افترست حملا فهي طويلة محمرة مخيفة ".[209]

وأكثر كذلك من الصور الحسية في خواطره كالبصرية والسمعية والذوقية وغيرها من الصور الحسية، ومن هذه الصور قوله: " سكنت الدنيا سكونا مهيبا، ولم يبق في الجو نأمة تسمع إلا هذه الأصوات العميقة تفيض بها الأودية البعيدة والشعاب النائية. وإلا طنين حشرة تطير، ونعيق بوم على تلك الدوحة ".[210]

ومن ذلك قوله في وصف مرضه: " أشتهي قطعة من الخبز فأطلبها وألح في طلبها، فتمتنع عني ... وأحلم بها في يقظتي تجسمها لي أمانيَّ وأفكاري، فأتخيل أني نلتها، فإذا أنا لم أنل إلا هذا اللبن (الحليب) الذي برمت به واجتويته، والذي كرهت لأجله كل أبيض ... حتى بياض الفجر وبياض الخد والذي أصبح قذى في عيني لا أطيق رؤيته وسُمًّا في فِيَّ لا أقدر على تذوقه...".[211]

فهذه الصورة ترد إلى الحواس جميعا، فالحواس توجد في معظم صور الطنطاوي، فالسكون والبكاء والصراخ والمناظر الجميلة كلها تجعل من صور الطنطاوي صورا حسية.

208- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 3 / 47.
209- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 138.
210- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 138.
211- علي الطنطاوي، *من حديث النفس*، ص 219.

2.3. المجاز

عرَّف البلاغيون المجاز بأنه: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.[212]

ويقسم المجاز إلى قسمين: هما المجاز المرسل، والمجاز بالاستعارة.

أما المجاز المرسل فقد عرفه البلاغيون بأنه: الكلمة المستعملة قصدا في غير معناها الأصلي، لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.[213]

ولكل من المجاز المرسل والمجاز بالاستعارة علاقات مشهورة، يتعذر ذكرها. ومن المجاز المرسل في خواطر الطنطاوي، قوله:

" فكرت في أن أكلمها، وفتشت في ذهني عن الكلمات التي تصلح لها، ولكني رأيت رجلا قد سبقني إليها وقال لها: يا ست: خطية هذه البنت، خذي الولد منها. فوقفت الست، ووضعت يديها في خاصرتيها، ورفعت أنفها ثلاث أصابع، ومدت شفتيها إصبعين".[214]

فالأنف ثابت لا يرتفع ولا ينخفض، والشفتين لا تطول ولا تقصر، ولكنه أراد تغير العادات وتكشف النساء ومواجهة الرجال في الأسواق، ففي العبارة مجاز مرسل علاقته المحلية حيث عبر بالمحل وأراد الحال.

ومنه أيضا: " ألفنا شركة استيراد وتصدير فاستوردت القوانين لمحاكمنا، واستوردت المناهج لمدارسنا، واستوردت الأزياء لنسائنا، ولكنها لم تصدر شيئا من فضائلنا إلا ما قبسه العقلاء الأذكياء منهم من مبادئ ديننا الذي دخلوا فيه أفرادا، وسيدخلون بإذن الله أفواجا.

وصار منا ـ من المسلمين - ممن يقول: نحن من المسلمين، من خُدِعَ بالماركسية أو بالوجودية، أو بالفسوق الذي سموه الحرية، صار منا من يتخذ قِبلته البيت الأحمر أو البيت الأبيض أو البيت الأصفر".[215]

212- أحمد الهاشمي، *جواهر البلاغة*، ص 251.
213- أحمد الهاشمي، *جواهر البلاغة*، ص 252.
214- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 29.
215- علي الطنطاوي، ذكريات علي الطنطاوي، 186/3. ولعلَّهُ قصدَ بالبيت الأحمر: الشيوعية الاشتراكية، وبالبيت الأبيض: الرأسمالية، وبالبيت الأصفر: الماركسية الصينية.

لقد عبر بالبيت الأحمر والأبيض والأصفر، وأراد النظم السياسية والعقائد والأفكار والأخلاق، فقد عبر بالمحل وأراد الحال، فأعطى صورة واضحة عن التباين بين الأمكنة مع اختلاف العادات والعقائد والأفكار، وعبر بالجزء الفاعل الذي يمثل رمزا لتلك النظم.

والمجاز العقلي: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة، مع وجود قرينة تمنع إرادة الإسناد الحقيقي.[216]

أما المجاز العقلي فيكثر في خواطر الطنطاوي ومنه:

" أمسى المساء على بغداد وهي قائمة على قدم وساق، وليس فيها من يبيع ويشتري، أو يلهو ويلعب، بل ليس فيها مَنْ يطعم أو يشرب، ليس لها إلا غاية واحدة هي النجاة من الغرق".[217]

فأهل بغداد قائمون على قدم وساق، بدليل اسم الموصول (من) الذي يستعمل للعاقل، وبدليل عقلي هو أن بغداد لا يمكن أن تقوم بهذا الفعل، وبهذا يصرف الكلام عن ظاهره.

ومنه أيضا:

" مر على دمشق أوائل هذا القرن، من جليل الحوادث وفادح الخطوب ما لو مرت على الشامخات الرواسي لجعلته دكًّا، أو وقع على الجلاميد الصم لصيّرها هباء، فأعدتْ له الإيمانَ الذي لا يزلزله رزء ... وصبرت عليه صبر العظيم على العظيم، حتى تعودت من الضر وألفت من قوارع الدهر ...

نكبت دمشق الحرب ... فشيعت دمشق من مات وحدبت[218] على من بقي، وما خارت ولا جزعت ... وصبرت دمشق ".[219]

لقد أسند الطنطاوي هنا الأفعال إلى دمشق وهو إسناد غير حقيقي، من باب التوسع والدلالة على توحد الناس في مدينتهم، والكاتب ابن دمشق فهي تعني له الكثير، تعني له النضال والكفاح والأمة والصمود، والإسناد هنا عقلي لا حقيقي، ولو كان حقيقيًا فالأولى أن يسند الأفعال إلى فاعلها الحقيقي وهم أهل دمشق.

وكذلك قوله:

216- علي الجارم،ومصطفى أمين، *البلاغة الواضحة*، القاهرة، دار المعارف، 2004، 2/ 155.
217- علي الطنطاوي، بغداد ذكريات ومشاهدات، المكتبة الأزهرية، ط1، 1960م، مطابع دار العسكر بدمشق، ص50 .
218- حدبت: أي أشفقت. ابن منظور، لسان العرب، 52/4
219- أحمد آل مربع، *علي الطنطاوي كان يوم كنت*، 2 / 417.

" وإلا فمن يروي لي قصة هذا القبر التائه، الذي نأى عن موطنه، وفارق إخوانه، وطوف حتى استقر عند قدم صخرة هائلة من صخور رأس بيروت، يلطمه الموج صباح مساء، فيستغيث استغاثة غريق عاينَ الموت، ولا مِن مغيث! " .[220]

فإسناد الأفعال وما في معناها (التائه ونأى وفارق وطوف) إسناد غير حقيقي، ولكن هو من باب الحسرة والألم والشوق والحنين والإسناد الحقيقي للكاتب، الذي فارق وطنه وابتعد عنه، فلم يسند الأفعال إلى فاعلها الحقيقي.

وقد استخدم الكاتب المجاز من باب التوسع اللغوي، ولم يسخره لأهداف أو غايات فنية أسمى من التخفف من أعباء اللغة وقوانينها الصارمة، وتجديد البناء والنسق التعبيري. وهذا الاستخدام في التوسع اللغوي بحد ذاته أمر حسن، ولكنه لم يترك أثرا واضحا على نمط الصورة، وقد درج الباحثون على إدخاله ضمن أدوات الصورة البيانية.[221]

الكناية:

الكناية كانت بارزةً في خواطر الطنطاوي، ولكن بداية لا بد من تعريفها، فالكناية: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه، أي: إرادة المعنى الأول.

الكناية في فن الخاطرة عند الطنطاوي:

الكناية: لفظٌ أُطلق وأُريد به لازم معناه، مع قرينة غير مانعة من إيراد المعنى الأصلي. أو مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود لعدم وجود رينة مانعة من إرادته.

والفرق بين الكناية والمجاز يقع في جواز إرادة المعنى الحقيقي. ففي الكناية يصح أن تحمل الكلام على المعنى ولازمه، وهذا لا يكون في المجاز؛ لأن القرينة أو العلاقة تمنع إرادة المعنى الحقيقي وتصرف الكلام إلى المجاز.[222]

والراجح أن الكناية ضرب من ضروب المجاز؛ لأنها لا تكون كناية إلا إذا صرفنا مقتضى الكلام عن ظاهره، وانتقلنا من المعنى الحقيقي إلى معنى آخر لم توجد هذه الكلمات للتعبير عنه؛ لعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد، وهي اللزوم والتلازم.

ومن الكنايات الواردة في خواطر الطنطاوي قوله:

220- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 46.
221- أحمد آل مريع، *علي الطنطاوي كان يوم كنت*، 2 / 413.
222- أحمد آل مريع، *علي الطنطاوي كان يوم كنت*، 2 / 414.

" يا مضطجعين على فرش النعيم ".[223]

كناية عن الترف والغنى.

وقوله: " ضاقت الأقوات ".[224]

كناية عن الفقر وضيق الحال.

ومنها أيضا: " رأيت اليوم امرأة كأنها جبل من الشحم واللحم ".[225]

وهي كناية عن شدة السمنة.

وقوله: " ومدت شفتيها إصبعين ".[226]

وهي كناية عن شدة الغضب

ومنها: " دنت قافلة الحياة السائرة في بيداء الزمن من محطها ".[227]

وهي كناية عن الكبر في السن وقرب انتهاء الأجل.

فجميع هذه الكنايات قريبة من الذهن؛ لأن الوسائط بين المعنى المراد والمعنى الأصلي قليلة، فلا يحتاج القارئ لإعمال الذهن لتحصيل المعنى المراد.

لكنها تمنح القارئ حسًّا جميلا تدركه النفس وتجد أثره في المعنى الصريح المكشوف، والكناية تجعل المعنى مختفيا لا نصل إليه إلا من خلال صورة المعنى المراد. والكناية تعبير فني لأن المعنى فيها يستتر عن القارئ، ولا يصل القارئ أو المتلقي له إلا بعد إزاحة ذلك الستار.

223- علي الطنطاوي، *مقالات في كلمات*، ص 10.
224- علي الطنطاوي، *في سبيل الإصلاح*، ص 54.
225- علي الطنطاوي، *مقالات في كلمات*، ص 99.
226- علي الطنطاوي، *مقالات في كلمات*، ص 98.
227- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 159.

3.3. تشبيهات علي الطنطاوي

تمتلك اللغة العربية مجموعة من الأساليب والخصائص التي تميزها عن جُلِّ لغات العالم بلاغة؛ لاحتوائها على عديد المفردات المتشابهة، والتشبيه واحد من تلك الأساليب الجمالية في اللغة العربية، وقد عرف علماء البلاغة التشبيه على أنه: مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة.[228]

فللتشبيه جماليات وبلاغة، ينقلك من شيء إلى آخر بأسلوب بارع، وينتقل بك من صورة إلى أخرى أجمل منها، وبلاغة التشبيه وجماله يتفاوت بحسب ذكر أدواته، وأقله مرتبة ما ذكر فيه جميع الأركان، وأبلغه ما حذف فيه أحد طرفيه؛ لادعاء أن المشبه والمشبه به شيء واحد.

أما علي الطنطاوي فكان يكثر من التشبيه في خواطره، وسنسرد الآن بعض التشبيهات التي وردت في خواطره والجماليات التي أضفتها على تلك الخواطر.

ففي إحدى خواطره يشبه النفس بأنها نهر جارٍ رغم أنها واحدة لا تتغير، إلا أن الطنطاوي شبهها بالنهر الذي تتبدل مياهه باستمرار، إذ يقول: " النفس البشرية، في تبدل مستمر مع أنها واحدة، مثلها مثل مجلس فيه مئة عضو، تنتهي في كل شهر عضوية عشرة منهم، ويأتي عشرة جدد، أو كمثل نهر جارٍ، لا تقف قطرة منه، ولا ترجع بعد ما مرت، وقد يصفو ماؤه أو يتعكر، وقد يفيض النهر أو يغيض، ولكن يبقى النيل مثلا هو النيل، صفا أو تكدر، وعند الفيضان أو في أيام النقصان ".[229]

فهذا أحد التشبيهات الحسية التي استخدمها الطنطاوي في خواطره من خلال تشبيه النفس البشرية بالنهر الجاري، فجمال التشبيه في هذا الموضع تشبيه المعنوي بالحسي.

ويشبه في موضع آخر حال الناس مع الدنيا، بقوله: " إني أنظر إلى حياتنا هذه التي نعيشها، فأرانا فيها كموكب من السيارات، تمضي مجنونة مسرعة، متسابقة، هَمُّ كل واحدة أن تسبق الأخرى، وتخلفها وراءها، ولكن لو سألت سوّاقها إلى أين يسيرون ولماذا يسرعون؟ لما وجدت عندهم جوابا، سباق إلى المال سباق إلى اللذات، سباق الوظائف، سباق في كل طريق من طرق الحياة.[230]

الحياة تمضي ونحن بداخلها كموكب من السيارات، تسير بسرعة عالية كأنها في سباق مع الزمن لكنه ليس سباق للوصول إلى النهاية المرجوة إنما هو سباق لكسب المال من هذه الدنيا الفانية، وهو تشبيه حسي.

228- أحمد الهاشمي، *جواهر البلاغة*، ص 219.
229- علي الطنطاوي، من حديث النفس،
230- ناصرعبد العزيز الهذيلي، *تشبيهات الشيخ علي الطنطاوي*، ط1، الخرج، 2011م، ص112.

كما شبه الطنطاوي الحياة تشبيهاً جميلاً بقوله: " لقد أدركت يومئذ، وتحققت اليوم، أن الحياة مثل الناعورة، هل ترونها في الصورة؟ دولاب كبير علقت به دلاء وسطول يكون السطل منها مملوءًا وهو فوق، فمن كان قصير النظر ظن أنها النهاية، ومن دقق وحقق، رأى الدولاب لا يدور، فما نزل يصعد، وما فرغ يمتلئ ".[231]

وفي مكان أخر يشبه دمشق الحديثة، مَرْبَى طفولته ومرعى شبابه، حيث قال: " يا صاحبي، (دمشق الجديدة) تلقى فيها ما تلقى مثله في أي مدينة كبيرة: خير وشر، وعلم وجهل، وتقى وفجور، وحجاب وسفور، حياة كالبحر فيه اللؤلؤ وفيه الحصى، وفيه الحياة وفيه الموت".[232]

فمدينة دمشق فيها كل ما تطلبه النفس من التقى والصلاح والفجور والضلالة والعلم والجهل، فهي إذاً مثل البحر فيه اللؤلؤ وفيه الحصى والجيف.

ويشبه أصدقاءه وإخوانه في المملكة العربية السعودية بالربيع الذي يحمل معه الفرح للصغير والكبير، بقوله: " إن إخواني في المملكة العربية السعودية لا يعرفون ما الربيع، ولو كانوا في الشام، ورأوا الغوطة حين تُشَمُّ روائحُ آذار، فتنبثق فيه الزهور من الحطب حتى تصير الشجرة بيضاء كالألماس ثم تتناثر الزهور وينبت مكانها الورق، فتغدو خضراء كالزبرجد، ثم تحبل الشجرة فتلد الثمار حتى تميل بها الأغصان ".[233]

فهذا التشبيه الحسي لأصدقائه الذين عرفهم في المملكة العربية السعودية بزهر الغوطة جعل من التشبيه أسلوبًا رائعًا عرض من خلاله محبته لإخوانه فيها.

ويشبه دمشق تشبيها شاعريا رقيقا كفتاة تنام على بساطٍ من العشب الأخضر تلفحُ وجهَهَا نسماتُ الربيع العذبة، فيقول: " ودمشق تظهر من بعيد، وهي نائمة على البساط السندسي الأزلي، عليها غطاء من نسج الغصون، موشَّى بالزهر وقد هبَّت عليه نسائم الصباح الرَّخِيَّة، تمسّ وجهها مسًّا رفيقا، وزقزقت في أذنيها العصافير توقظها برِقَّة ولطف، وهَدَرَ في مسامعها بردى يهزّها كي تفيق ".[234]

كذلك يشبه الإنسان وذكرياته بالنباتات التي تموت بعد اقتلاعها ونقلها إلى مكان آخر، إذ يقول:" النبات يمتص حياته من أرضه بجذوره، فإن نقلته منها تقطعت، فذبلت الأوراق وتراخت العروق، والإنسان في هذه كالنبات، وجذوره ذكرياته فإن نقلته إلى بلد ما له فيها ذكرى، وما تربطه بها رابطة، أحس أنه قد انقطع سلك حياته فإذا أقام في البلد الجديد اتصل المنقطع كالنبات

231- ناصر عبد العزيز الهذيلي، *تشبيهات الشيخ علي الطنطاوي*، ص 213.
232- ناص عبد العزيز الهذيلي، *تشبيهات الشيخ علي الطنطاوي*، ص73- 74.
233- ناصر عبد العزيز الهذيلي، *تشبيهات الشيخ علي الطنطاوي*، ص75.
234- ناصر عبد العزيز الهذيلي، *تشبيهات الشيخ علي الطنطاوي*، ص73.

يضرب جذورا جديدة في المكان الجديد، وتنمو كلما امتد به المقام، فإذا أعدته إلى أرضه الأولى أعدته إلى الذبول ".[235]

ويشبه أيضاً مشاعره بعد دخوله المدينة المنورة، قادما مع الوفد السوري إلى الحج، ورؤيته قبر الرسول ﷺ، إذ يقول: " أُحَدِّقُ بالقبّة وتحتها أفضل من مشى على الأرض، وقد شَخَصَ بصري، وكدت لا أرى ما حولي لفرط ما أحس من جيشان العواطف في نفسي، حتى غامت المشاهد في عيني، وتداخلت كأنها صورة يضطرب بها الماء، وأحسست كأني خرجت من نفسي، وانفصلت عن حاضري، وذهبت أعيش في عالم طلق لا أثر فيه لقيود المكان والزمان".[236]

إن هذا التشبيه المعنوي لخروج روحه من جسده لشدة شوقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم جعل خاطره يفيض بالمشاعر والعواطف الجياشة، تلك المشاعر التي رسمت لنا صورة من روائع صور الطنطاوي.

كما شبه علي الطنطاوي تداعي الأفكار على ذهنه عندما يضطجع للنوم كحلم يستيقظ منها فلا يبقى له أثر، فقال: " كان أكثر ما أكتب عندما أضطجع للفراش، وقد أرخى النعاس جسمي وأغلق أجفاني، هنالك يتقيد الفكر وينطلق، فأشعل النور لأدون فكرة عرضت لي، فإذا نفذت أطفأته وتمددت لأنام، تأتي فكرة أخرى فأعود إلى النور فأشعله، تأتيني الأفكار مثلما تقبل الأمواج على الشاطئ، موجة بعد موجة، واذا توالت علي وتعاقبت، طار النوم من عيني، فإما أستغني عنه وأبقى ساهرا، وأقضي نهاري بعده خاملا، أو أن أطرد الأفكار وأنام، فإذا أصبحت لم أجد في ذهني شيئا، كحلم كنت مستغرقا فيه، فلما أفقت تصرم الحلم، أو صورة على لوحة الرائي، قطع عنها التيار، فلم يبقَ لها من آثار " .[237]

فالصورة المرسومة لتداعي الأفكار عليه تبعد النوم عن جفونه ويصبح كشاطئ تلطمه الأمواج من كل جانب وهو ثابت في مكانه وكذا علي الطنطاوي ثابت رغم المحن والمصائب التي مر بها، وهذا التشبيه الحسيّ أضاف للصورة الحركة والحيوية.

ومن تشبيهاته أيضا الخصومات التي تحصل بين أطفال الأسر القديمة التي كانت تقطن دارا واحدة تضم الجد مع أبنائه وأبنائهم، بقوله: " كانت كاصطدام الغصن بالغصن في الدوحة الباسقة، والموجة بالموجة في البحيرة الصافية، وأصل الشجرة واحد، وماء البحيرة واحد، ولكنها ريح الصبا هبت في الأصيل، فأزاحت الملل، وجاءت بالأمل، وهل الحياة إلا الحركة، وهل الحركة في الغالب إلا بركة؟ وخلاف على السطح، وما في الأعماق، إلا الألفة والاتفاق ".[238]

235- علي الطنطاوي، ذكريات علي الطنطاوي، 17/1.
236- ناصرعبد العزيز الهذيلي، تشبيهات الشيخ علي الطنطاوي، ص 36.
237- علي الطنطاوي، ذكريات علي الطنطاوي، 45/5.
238- علي الطنطاوي، ذكريات علي الطنطاوي، 145/5.

فالطنطاوي يشبه خصومة سكان البيت الواحد بخصومة الأغصان مع بعضها وتلاطم الأمواج مع بعضها، ورغم هذا التخاصم والتناحر فالمنشأ واحد والخلاف ظاهري أما في الباطن فالمحبة والاتفاق هي الأصل.

ومن تشبيهاته الأخرى تشبيه القرى البشرية بقرى النمل، يقول: " نحن كالنمل، هل رأيت قرية النمل؟ اِدْنُ منها ترَ حركة دائبة، وصفوفا متعاقبة، كل واحدة تأخذ بعقب أختها فتمشي وراءها كنت أحسب أن لها غاية تريد بلوغها، ثم علمت أنها تدع من أثرها شيئا له رائحة، تهدي رائحته التي بعدها، فتتبع سبلها، فإذا مسحت بأصبعي طريقها، اضطرب حبلها، واختل سيرها أليس هذا مثال البشر؟ بعضهم يموج في بعض، منهم من يمشي يمينا ومنهم من يمشي شمالا وكل مسرع لا يقف ".[239]

إن تلك الصورة التي رسمها الطنطاوي لقرية النمل بنظامها وترتيبها وتوزيع مهامها، هي صورة رُسمت بالأصل للإنسان الذي ضيع وظيفته ومهمته، وهذا الحس الموجود في تشبيهات الطنطاوي هو دليل على عبقريته الأدبية وحسه المرهف.

ولبغداد نصيب من تشبيهات الطنطاوي تلك المدينة العظيمة عاصمة الدولة العباسية الشامخة التي قضى فيها فترة من الزمن، يقول: " وتلفتُّ ورائي فإذا بغدادُ وراءَ الأفق، وغابت مسارب الأعظمية التي تنكشف ورائي تحاذي النهر، تنكشف عنه تارة فتضيء، ثم تختفي وراء ظلال النخيل كشاعر منفرد متأمل، أو محب متغزل يناجي طيف الحبيب، ويسامر ليالي الوصال التي تلوح له صورها، والنهر يطلع عليها مرة بصفحته البيضاء المشرقة، التي تشبه أمنية بدت لحالم، ثم يحجبه عنها النخيل، ويمحوه الظلام كما تمحو الحياة بواقعها الأحلام، وتطمس صور الأماني، وغابت بغداد، فسلام على بغداد " .[240]

فها هو يودّع بغداد كما يودّع الحبيب حبيبته، ويفارقها كما يفارق الإلف إلْفه، ويغازل طيفها كما يغازل العاشق طيف معشوقته، ها هي باتت أطيافا تتراءى له من بعيد، كحلم هارب، يطفو حينا ويتوارى أحيانًا، بعد أن كانت واقعا يعيشه ويتمتع بالتجوال في جنباته.. ها هي ذي بغداد قد غابت كما تغيب الشمس، فسلام عليها حين تغيب وحين تشرق.. وكيف لا تكون بغداد كذلك في قلب أديبنا وهي من أحب المدن إليه بعد دمشق!

239- ناصرعبد العزيزالهذيلي، تشبيهات الشيخ علي الطنطاوي، ص 58 - 59.
240- ناصرعبد العزيزالهذيلي، تشبيهات الشيخ علي الطنطاوي، ص 83.

4.3. المحسنات البديعية

يعد الطنطاوي من الكتاب الذين أجادوا استخدام المحسنات البديعية، واستطاع توظيفها لغايات تخدم المعنى، ولم يسرف في استخدامها.

ومن تلك المحسنات: السجع والطباق والجناس، وسنبدأ بدراسة السجع لكثرة استخدامه في خواطره.

السجع: هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره.[241]

وهو مِمَّا يضفي جمالا على الصياغة الفنية للنص من خلال جمال النظم واتحاد الفقرات، وهو ينبئ عن ذوق رفيع، وحس مرهف، ومقدرة على تصوير المعاني، وصبها في قالب جميل.

كما أن الإيقاع الجميل الذي يحدثه السجع يؤنس النفس، ويؤدي إلى أن تستقر الفكرة في النفس وتزداد جلاء ووضوحا وتأثيرا على المشاعر.[242]

ومن أمثلة السجع في خواطر الطنطاوي ما اتفقت فيه فاصلتاه في الحرف الأخير فقط دون الوزن والحركات. قوله في خاطرة عن الوالدين: " إن الإنسان يربي كلبا فيفي له، وحمارا فلا يرفسه، ويطعم القط فلا يعضه ... ".[243]

وقوله في حديثه عن سيدة في السوق: " رأيت اليوم امرأة كأنها جبل من الشحم واللحم، تميس لا كغصن البان، بل كجذع السنديان ... ".[244]

فقد جاءت فواصل الفقرتين في المثالين السابقين متوافقة في الحرف الأخير منها دون البقية، فالمثال الأول حرف الهاء، والمثال الثاني حرف النون، وهذا ما يسمى في اصطلاح البلاغيين (السجع المطرف) وهو أقل أنواع السجع عند الطنطاوي.

كما استخدم الطنطاوي السجع المتمثل بتوافق الفواصل بحرفين أو أكثر في خواطره، وهو السمة الغالبة على سجع الطنطاوي.

ومنه قوله: " إني رأيت القضاء راحة جسم وتعب بال، وعلو منزلة وقلة مال ".[245]

241- أحمد الهاشمي، *جواهر البلاغة*، المكتبة العصرية، بيروت، 2013م، ص 330.
242- محمد رمضان الجربي، *البلاغة التطبيقية*، ط1، مكتبة الآداب، مصر، 2009م، ص 182.
243- علي الطنطاوي، *صور وخواطر*، ص 144.
244- علي الطنطاوي، *في سبيل الإصلاح*، ص 30.
245- علي الطنطاوي، *مقالات في كلمات*، ص 99.

وقوله: " من هي التي تنظر بعيني، وتسمع بأذني؟ " .[246]

وقوله: " يكتب القوي سيرة حياته، ويملؤها بآيات التبجيل والثناء، ولكن مدادها دموع الأشقياء".[247]

ففي الأمثلة السابقة كان الاتفاق فيها في بعض أجزاء الفاصلة مع الروي وهي (بال ومال، بعيني وبأذني، الثناء الأشقياء).

أما النوع الثاني من السجع، هو ما اتفقت فيه فواصل السجع في الحرف الأخير مع الاتفاق في الوزن والحركة وهذا يسمى عند البلاغيين (السجع المتوازي). ومنه قول الطنطاوي: " حرام أن تبقى هذه الأموال ضائعة، وهذه البطون جائعة! " .[248]

وقوله أيضا: " لا يحيط به ذراعها النحيل، ولا ينهض به جسدها الهزيل ".[249]

فالفواصل في الأمثلة السابقة (ضائعة وجائعة، النحيل والهزيل) جاءت على روي واحد ووزن واحد وتماثلت في الحركات فهي إذا السجع المتوازي. ومنه أيضا: " بعد ساعة واحدة يتم الفلك دورة جديدة من دوراته التي لا تحصى، فلا يترك بعدها إلا أنقاضا مهدمة، وأجسادا محطمة، وقلوبا مهشمة ".[250]

" وينوء بك أنت ثقل الحمل في بطنك، والهم في نفسك، والوصمة على جبينك ".[251]

وغير ذلك الكثير من الأمثلة الواردة في خواطر الطنطاوي عن السجع المتوازي.

والنوع الثالث من السجع، السجع المرصع: وهو ما اتفق فيه لفظ أو أكثر في فقرتي السجع في الوزن مع اتفاق الفاصلتين وزنا ورويا، وهذا النوع من السجع الأقل ورودا في خواطره.

ومنه قوله: " لا بل الشرع الشرع، ما حرّمه حرّمناه، وما أحله حللناه ".[252]

فكلتا الفاصلتين متوافقتان وزنا ورويا في المثال السابق (حرّمناه وحللناه)، وزاد على ذلك توافق بعض الألفاظ (ما حرّمه وما أحله).

246- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 160.
247- علي الطنطاوي، *مقالات في كلمات*، ص 68.
248- علي الطنطاوي، *في سبيل الإصلاح*، ص 35.
249- علي الطنطاوي، *مقالات في كلمات*، ص 98.
250- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 161.
251- علي الطنطاوي، *مع الناس*، ص 134.
252- علي الطنطاوي، مع الناس، ص 135.

والطنطاوي لا يستخدم السجع إلا إذا اضطر إلى ذلك، ولهذا تأتي فقراته المسجوعة قصيرة في غالب الأحيان، وكلما قصرت فقرات السجع ازدادت حلاوة في السمع، وخفة على اللسان.

أما **الجناس**: فهو اتفاق اللفظين في النطق واختلافها في المعنى.[253] والجناس من الحلي البديعية اللفظية ذات التأثير البليغ في نفس المتلقي والقارئ إذ تبث نغمة عذبة تسري في الخاطر وتجعل النفس تميل إليها. ويقول ابن الأثير الحلبي - وهو من علماء القرن الثامن الهجري- في هذا: " لم أر من ذكر فائدة الجناس، وخطر لي أنها الميل إلى الإصغاء إليه، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليه، ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر، كان للنفس تشوق إليه ".[254]

ومن هذا الجناس عند الطنطاوي قوله: " وقفت أنظر وفي العين عَبرة، وفي النفس عِبرة ".[255]

فعَبرة يقصد بها الدموع، وعِبرة يقصد بها الحسرة.

وقوله: " ولفنا بعد إشراق النهار ليل مظلم، أغمضنا فيه عيوننا وأغمدنا فيه سيوفنا ".[256]

فالجناس بين (أغمضنا وأغمدنا) وهو جناس ناقص لاختلاف الكلمتين في حرف من الحروف.

ومنه أيضا: " تنتهي حريتك في أرضك حيث تبدأ حرية جارك في أرضه. لا أريدها حرية الكفر بل حرية الفكر، فإن مست ديننا أو أضرت بأمتنا أو أفسدت أخلاقنا قلنا لها: كلا! " .[257]

والجناس بين كلمتي (الكفر والفكر).

ومن الجناس أيضا قوله: " إن الله يمهل ولا يهمل، وينسئ ولا ينسى ".[258]

وهذا الجناس بين (يمهل ويهمل) و (ينسئ وينسى).

253- أحمد الهاشمي، *جواهر البلاغة*، ص 243.
254- شرح السبكي على التلخيص: 412/4، نقلاً عن د. عبد الغظيم المطعني: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ص 442/2.
255- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 1 / 27.
256- علي الطنطاوي، *هتاف المجد*، ص 75.
257- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 2/ 16.
258- علي الطنطاوي، *ذكريات علي الطنطاوي*، 5 / 285.

والطباق: من المحسنات البديعية التي استخدمها الطنطاوي في خواطره، إذ أنّ الطباق: هو الاتفاق والجمع بين الشيئين، وفي الاصطلاح: هو الجمع بين الشيء وضده.[259]

ويميل الطنطاوي إلى الاحتفاء بالمعنى والإحاطة به، وذلك ما جعله يجنح إلى الطباق تارة وإلى المقابلة تارة أخرى، فهو يريد أن يمثل للقارئ معنيين متقابلين؛ لينحصر ذهنه فيما بينهما، ثم يدع له حرية التنقل فيما بينهما، ولهذا يعد الطباق والمقابلة بلاغة في الكلام؛ لأنهما سبب من أسباب الوفاء بالمعنى، وأداء الغرض، وإن كانا في أساسهما زينة وحلية مجملة ومحسنة.[260]

وقد تعدد الطباق في خواطر الطنطاوي فمنه ما كان طباق بين فعلين أو اسمين، أو بين فعل واسم، أو بين اسم وفعل. ومنه قوله: " فطالما افتقر أغنياء ".[261]

والطباق بين (افتقر وأغنياء) وهو طباق بين الفعل والاسم.

ومنه أيضا: " إن في الموسرين لمحسنين، وفي التجار لمنصفين، وما تخلو طبقة من خير ولا من شر".[262]

الطباق بين (خير وشر) وهو طباق بين اسمين.

ومنه: " ينعمون وتشقى الأم ".[263]

وهذا الطباق بين (ينعمون وتشقى) وهو طباق بين فعلين.

وقوله: " ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع ".[264]

الطباق بين (طار ووقع) وهو طباق بين فعلين.

أما **المقابلة**: فهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب.[265]حيث يؤتى بها لتقوية المعنى وتزيينه. ومنها قوله: " وما أمر به فعلناه، وما نهى عنه تركناه ".[266]

259- أحمد الهاشمي، *جواهر البلاغة*، ص 243.
260- أحمد آل مريع، علي *الطنطاوي كان يوم كنت*، 2 / 528 - 529.
261- علي الطنطاوي، *مقالات في كلمات*، ص 10.
262- علي الطنطاوي، *في سبيل الاصلاح*، ص 54.
263- علي الطنطاوي، *مع الناس*، ص 216.
264- علي الطنطاوي، *في سبيل الاصلاح*، ص 58.
265- أحمد الهاشمي، *جواهر البلاغة*، ص 325.
266- علي الطنطاوي، *مع الناس*، ص 134.

فالمقابلة هنا بين معنيين: الأمر وما يمثله من التزام الأوامر الشرعية، وفعلناه الذي يشير إلى الأعمال التي قمنا بها، وبين نهى وما تحمله من النواهي التي نهانا عنها الشرع وحثنا على تركها بـ تركناه.

وقوله في وصف حياة الإنسان: " تعلو حتى تبلغ الذروة، ثم تهبط حتى تصل الحضيض".[267]

المقابلة بين (تعلو والذروة ـ تهبط والحضيض).

ومنه أيضا: " زرعت روض شفتي بالقبل فأزهر وأينع، ولكن لم يقطفه أحد فذوى وجف".[268]

لقد كانت المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية بارزة في أسلوب الكاتب، وكانت في مجملها مما يحسب له لا عليه، إذ كانت تجري في السياق سلاسةً دون تعقيد للمعنى.[269]

مما تقدم نجد أن المحسنات البديعية قد حضرت في كتابات الطنطاوي بأشكالها وصورها المتنوعة وجاءت بوصفها أداةً لتوكيد المعاني، لذا كانت لها وظيفة جمالية فضلاً عن وظيفتها السياقية لنسج الأفكار.

ولا نزعم هنا أننا ألممنا بكل أنواع المحسنات البديعية في خواطر الطنطاوي، ولكننا عرضنا البارزة منها، ومثلنا لها من خواطره.

267- أحمد آل مريع، *علي الطنطاوي كان يوم كنت*، 2 / 303.
268- علي الطنطاوي، *من حديث النفس*، ص 114.
269- أحمد آل مريع، *علي الطنطاوي كان يوم كنت*، 2 / 534.

الخـــاتمة

بعد دراستنا لفن الخاطرة في أدب الطنطاوي وتحليلنا لأسلوبه وطرائق تصويره والموضوعات التي تناولها في كتبه توصلنا إلى جملة من النتائج.

- يمكن للخاطرة أن تطرق أيّ باب من أبواب الحياة، فهنالك الخواطر الاجتماعية والإنسانية والفلسفية والوجدانية والسياسية والنقدية والتاريخية.
- شملت خواطر الطنطاوي جميع الموضوعات في الأدب فكتب الخاطرة الاجتماعية والسياسية والوجدانية والوصفية، ولم يقتصر على موضوع بعينه بل تنوعت مواضيعه بحسب الحال.
- نتاجه الأدبي الكبير دليل عبقريته، ومواهبه الأدبية التي امتلكها جعلته من كبار كتّاب عصره. ففكره واضح وجلي في خواطره.
- الخاطرة عنده تصوير لأفكاره وآرائه، من خلال علاج قضايا مجتمعه وأمته، وتوعية الشباب لخطورة ابتعادهم عن دينهم.
- الطنطاوي ابن بيئته الشامية الخضرة وابن مجتمعه، فكان حري به أن يعي واقع شعبه وأمته، وأوضاعهم على الصُعد كافة، وهو الذي عاش في ظل الاستعمار وما يفرضه على الشعوب المستعمرة من الذل والخنوع والجهل؛ لذا كانت خواطره السياسية والاجتماعية توثيقا لتلك الأحداث والعادات التي جلبها الاستعمار للشعوب المستعمرة.
- لقد اتسمت خواطر الطنطاوي بسمات فنية موضوعية تختلف عن كُتاب عصره، فكان متفردا في أسلوبه من خلال السهولة والوضوح والواقعية التي امتاز بها.
- كان للطنطاوي منهجه الواضح في النقد وله آراء واضحة في بعض القضايا الأدبية منها.
- قد حضرت المحسنات البديعية في كتابات الطنطاوي بأشكالها وصورها المتنوعة وجائت بوصفها أداتاً بتوكيد المعاني لذا كانت لها وظيفة جمالية فضلاً عن وظيفتها السياقية لنسج اللأفكار وتقديمها.
- أما وصفه وصوره الفنية فقد كانت متميزة، فاستطاع أن ينهج منهجا واضحا سهلا في خواطره الوصفية؛ وذلك لتأثره بالبيئة التي عاش بها، تلك البيئة الغنية بالجمال والحيوية. فقد كان يضفي الحركة والتشخيص على تلك البيئة الصامتة وعناصرها؛ لتمتلئ بالحيوية والنشاط حاملة في طياتها بعض مشاعره وأحاسيسه.
- خواطره سجلٌ صادق لما يجول بداخله من الأفكار والمشاعر والأحاسيس، فالخاطرة الاجتماعية هي محاولة منه لعلاج المشكلات والقضايا التي انتشرت في عصره الذي تغيرت فيه العادات والقيم والأخلاق، وهو لم يقف موقف المتفرج من كل المشكلات التي عانى منها مجتمعه فحاول طرح

الحلول ومعالجة القضايا بأسلوب واضحٍ سهلٍ، فهو لا يخاطب المثقفين فقط بل خطابه موجه لكل الناس وخواطره تعبير عما يجول في عقله.

- اتسم أسلوب الطنطاوي في خواطره بالشاعرية، ولا سيما في الخاطرة الوجدانية التي وظف فيها الألفاظ الموحية، فضلاً عن جمالية التصوير من خلال التشخيص، الذي عبر عن مكنونات الطنطاوي وعواطفه الجياشة.
- امتلك الطنطاوي القدرة على توظيف التناص؛ لخدمة أهدافه التي يريد إيصالها لقرائه؛ وليكون كلامه أكثر إقناعاً للقراء.
- لقد كان وصف الطنطاوي نابعاً من إحساس مرهف وعاطفة جياشة، فالبيئة التي عاش فيها بجمالها وسحرها، ألهمته هذا الوصف الجميل البديع، فقد كان يضفي على موضوعاته بعض الصفات الإنسانية من خلال التجسيد؛ ليبث فيها الحركة والحياة، فكانت خواطره الوصفية تنبض بالحركة والحيوية.
- وختامًا فقد كان الشيخ علي الطنطاوي كما قيل عنه: (كأنه قبضة من أرض الشام عُجنت بنهري النيل والفرات، لوحتها شمس صحراء العرب، فانطلقت بإذن ربها نفسًا عزيزة أبية، تنافح عن الدعوة، وتذود عن حياض الدين). رحمه الله رحمة واسعة وجعل ما نفع به أمته في ميزان حسناته.

التوصيات

- أوردنا بعض الأمثلة عن التناص عند الطنطاوي، وهذا الموضوع يمكن أن يكون بحثا كاملا يمكن لأحد الدارسين البحث فيه لكثرته عند الطنطاوي، أما نحن فقد اكتفينا بذكر بعض الأمثلة عن التناص عنده.
- تشجيع الدراسات التي تتناول الظواهر الفنية في أساليب الكتاب العرب، وتحليل أهم الأشكال الإبداعية التي عبروا من خلالها عن رؤاهم وأفكارهم.
- تسليط الضوء على أدب الطنطاوي ونتاجه الفكري والأدبي.
- التوسع في دراسة بعض الجوانب التي لم يلتفت إليها الباحثون كثيراً، مثل دور الكتاب المؤسسين في تطوور أساليب الكتابة الأدبية.
- إقامة مؤتمر علمي يتناول النتاج الفكري والأدبي للشيخ علي الطنطاوي، ويسلط الضوء على دوره وإسهاماته في الفكر الإسلامي، والتربية والتعليم، فضلاً عن إسهاماته في الصحافة والكتابة الإبداعية.
- نوصي من يأتي بعدنا من الباحثين أن يجمع خواطر الطنطاوي الموجودة في كتبه، ويجعل منه كتاباً خاصاً بالخاطرة.

المصادر

- الطنطاوي، علي، تعريف عام بدين الإسلام، ط3، دار المنارة، جدة، 1989 م.
- الطنطاوي، علي، دمشق صور من جمالها وعبر من نضالها، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م.
- الطنطاوي، علي، ذكريات علي الطنطاوي، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م.
- الطنطاوي، علي، صور وخواطر، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م.
- الطنطاوي، علي، فصول إسلامية، ط7، دار المنارة، جدة، 2008 م.
- الطنطاوي، علي، في سبيل الإصلاح، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م.
- الطنطاوي، علي، قصص من الحياة، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م.
- الطنطاوي، علي، مع الناس، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م.
- الطنطاوي، علي، مقالات في كلمات، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م.
- الطنطاوي، علي، من حديث النفس، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م.
- الطنطاوي، علي، من نفحات الحرم، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م.
- الطنطاوي، علي، هتاف المجد، ط3، دار المنارة، جدة، 2003 م.

المراجع

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، *المثل السائر*، المكتبة العصرية، بيروت، 1990م.
- إسماعيل، عز الدين، *الأدب وفنونه*، ط8، دار الفكر العربي، القاهرة، 2013 م.
- أبو اصبع، حسني محمود وابراهيم أبو هشهش وصالح، *فنون النثر العربي الحديث*، ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة، القدس، 1995م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، 2002.
- البخاري، محمد بن اسماعيل، *صحيح البخاري*، ط1، دار ابن كثير، دمشق، دار المنارة، 2002 م.
- التونجي، محمد، *المعجم المفصل في علوم اللغة والأدب*، ط1، دار الكتب العلمية، دمشق، 1993 م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، *البيان والتبيين*، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، الحلبي، القاهرة، 1988م.
- الجارم، علي ومصطفى أمين، *البلاغة الواضحة*، دار المعارف، القاهرة، 2004 م.
- الجربي، محمد رمضان، *البلاغة التطبيقية*، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009.
- الجرجاني، عبد القاهر، *أسرار البلاغة*، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001 م.

- الحديدي، عبد اللطيف محمد، *فن المقالة في ضوء النقد الأدبي*، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2001 م.
- ديرانية، مجاهد، *علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقيه الأدباء*، ط1، دار القلم، دمشق، 2001.
- ابن رشيق، أبي علي الحسن، *العمدة*، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1994 م.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى، *تاج العروس من جواهر القاموس*، مجموعة من المحققين، دار الهداية، الرياض، 1423هـ.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط12، 1997م.
- سواس، عبد الله، الذكريات في الأدب العربي ذكريات الأديب علي الطنطاوي نموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة يوزنجو يل، وان، 2017.
- السيوطي، جلال الدين، *الإتقان في علوم القرآن*، المكتبة الثقافية، بيروت، 1973 م.
- الشايب، أحمد، *أصول النقد الأدبي*، ط6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1408 م.
- *الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية*، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1411هـ.
- صبح، علي، *البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر*، ط1، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 1416 هـ.
- الطاهر، علي جواد، *مقدمة في النقد الأدبي*، ط8، المكتبة العالمية، بغداد، 1983 م.
- عبد النور، جبور، *المعجم الأدبي*، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 م.
- علوش، سعيد، *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة*، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1405 هـ.
- عمر، أحمد مختارعبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة.
- العسكري، أبو هلال، *الصناعتين*، تحقيق محمد علي البجاوي، ط2، دار الفكر العربي، بيروت، 1995.
- العسيري، أحمد آل مريع ، *علي الطنطاوي كان يوم كنت صناعة الفقه والأدب*، ط2، العبيكان، الرياض، 2009م.
- العوين، محمد عبد الله، *المقالة في الأدب السعودي*، ط2، دار الصميعي، الرياض، 2005 م.
- عياد، شكري، *القصة القصيرة في مصر*، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة،1968.
- الغنيم، إبراهيم بن عبد الرحمن، *الصورة الفنية في الشعر العربي*، ط1، الشركة العربية، القاهرة، 1996.
- قطب، سيد، *النقد الأدبي أصوله ومناهجه*، ط8، دار الشروق، القاهرة، 2003 م.
- القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مقدسي، أنيس، *الفنون الأدبية وأعلامها*، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 2000 م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، *لسان العرب*، ط 3، دار صادر، بيروت، 1993

- الميداني، عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية، ط1، دمشق، دار القلم، 1996.
- نجم، محمد يوسف، *فن المقالة*، ط1، دار صادر، بيروت، 1996 م.
- النويري، شهاب الدين، *نهاية الأرب في فنون العرب*، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ.
- الهاشمي، أحمد، *جواهر البلاغة*، تحقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2013 م.
- الهذيلي، ناصر عبد العزيز، *تشبيهات الشيخ علي الطنطاوي*، ط1، الخرج، 2011.
- هلال، محمد غنيمي، *النقد الأدبي الحديث*، ط2، دار نهضة مصر، القاهرة، 1996 م.
- يقطين، سعيد، *انفتاح النص الروائي النص والسياق*، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البضاء، 2001.

مواقع الإنترنت

- موقع الدرر السنية: www.dorar.net (تاريخ الوصول إلى الموقع 2019/07/05)
- الجامعة العربية المفتوحة: http://www.aoua.com/vb/index.php (تاريخ الوصول إلى الموقع 2019/08/05)
- قاموس المعاني https://www.almaany.com/ (تاريخ الوصول إلى الموقع 2019/08/07)
- https://web.nli.org.il/sites/nlis/ar/jrayed/pages/filastin.aspx تاريخ الوصول إلى الموقع 2019/08/01
- معجم البابطين http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=7396 تاريخ الوصول إلى الموقع 2019/08/01

مع الأستاذة بيان الطنطاوي

الأديبة بنت الأديب أم الأديبات،أخت الأديبات السيدة الأستاذة بيان الطنطاوي بنت الشيخ علي الطنطاوي الملقب بأديب الفقهاء وفقيه الأدباء، ووالدتها حفيدة الشيخ بدر الدين الحسني (المغربي) مفتي الشام رحمه الله (ذرية بعضها من بعض).

في تاريخ 25.01.2019 المقابل ليوم الجمعة التي قابلت فيها الأستاذة الفاضلة في بيتها في كوالالمبور برأي هذه الجلسة العلمية التي استمرت قرابة ساعتين ونصف تعادل ثلاث دورات في التنمية البشرية وتطوير الذات، ولعذوبة الفاظها وروعة كلامها وسحر معانيها وبيانها الجذاب لا تمل من حديثها الأخاذ،والخالة بيان مشاء الله عليها جمعت علوم الأدب مع علوم الإسلامية ولم تنعكف عن مسيرتها الدراسية والعلمية إلى عمر بلغت فيه السبعين،

تحسسك بجلستها أنك تجلس مع شخصية ذات ذوق رفيع، ومع جريدة جوالة ذات ثقافة ملونة واسعة،هي غنية عن التعريف وكيف لا واسمها يطابق مسماها، ولا يعجزها التعبير والبيان لتبسط وتسهل لك المسائل المعضلة والمعقدة وقد ذكرها والدها في ذكرياته واصفا رغبتها في التعلم الأدبي والعلمي،بعد ٢٥ سنة من التدريس في السعودية هي الآن من قرابة عشر سنين تعيش في عاصمة مالزيا لأجل العلم وقد أوشكت لأنهاء رسالتها الدكتوراه في جامعة الإسلامية المالزية، وما الدكاترة بالنسبة لها الا طليبين وطليبات .

أن تلد وتعيش في بلاد الشام وتُذَرِّسْ في الخليج وتحضّر للدكتوراة في آسيا الشرقية وتواصل رحلاتك العلمية بين المشرق والمغرب وتقابل كل يوم أصناف وأشكال من الأعلام والمثقفين ويكون لك إلمام واسع بالمكتبات الإسلامية وأهم شي أن تنشأ تحت رعاية المربي الشيخ علي الطنطاوي يكفي هذه السيرة العطرة أن تعبر عن مخزونك العملي والثقافي والأدبي، ناهيك أن يكون لك آلاف من الطلاب والطالبات،وأن تشارك بمئات من المحاضرات والندوات، وتحضر

برامج إذاعية وتواصل مقالاتك في مواقع التواصل الإجتماعي،فهي إن لم تكون كأبيها هي قطعة منه وأقل منه بقليل، ولها مشاريع ضخمة تخص ورشات العلم والأدب .

رغم أصالتها ومستوها العلمي وإنشغالاتها لم تتردد أن تحسسك أنها حقا هي خالة لك ولغيرك بأن تسألك عن أحوالك وتطمئن عن أخبارك .

شكرا للخالة الأديبة التي استضافتنا في بيتها ودعت أن نكرر الزيارة في جدة وتركية، أنا كمحب ومتابع لهذه العائلة العريقة العلمية اتمنى من الله أن يدوم لها الصحة والعافية وأن ينفع المسلمين بعلمها وتراثها.

https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=2432972376722617&id=100000296350883

منشور خالة بيان من صفحتها الفسبوك بتاريخ 2019/03/08

رضي الله عنك وأرضاك يا ابني احمد رمضان كوكجة وبارك بك

لقد أعطيتني الكثير من الصفات ورفعتني فوق ما أستحق! ليتني كما تظن..

أنا من سعدت بزيارتك وأنست بحديثك وسرها أن ترى أخيرا وجها لوجه ابنا غاليا عرفته عبر وسائل الاتصال من سنوات فوجدت عنده حب الشيخ وحب العلم والحرص على طلبه والعمل الدائب في سبيله وكل الإخلاص والوفاء..

حييت يا ابني وبوركت وإن شاء الله تكون لنا لقاءات كثيرة قادمة

https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=10161706508085413&id=670560412

((مع الأستاذة بيان الطنطاوي))

((الشيخ الأديب الفقيه علي الطنطاوي رحمهُ الله))

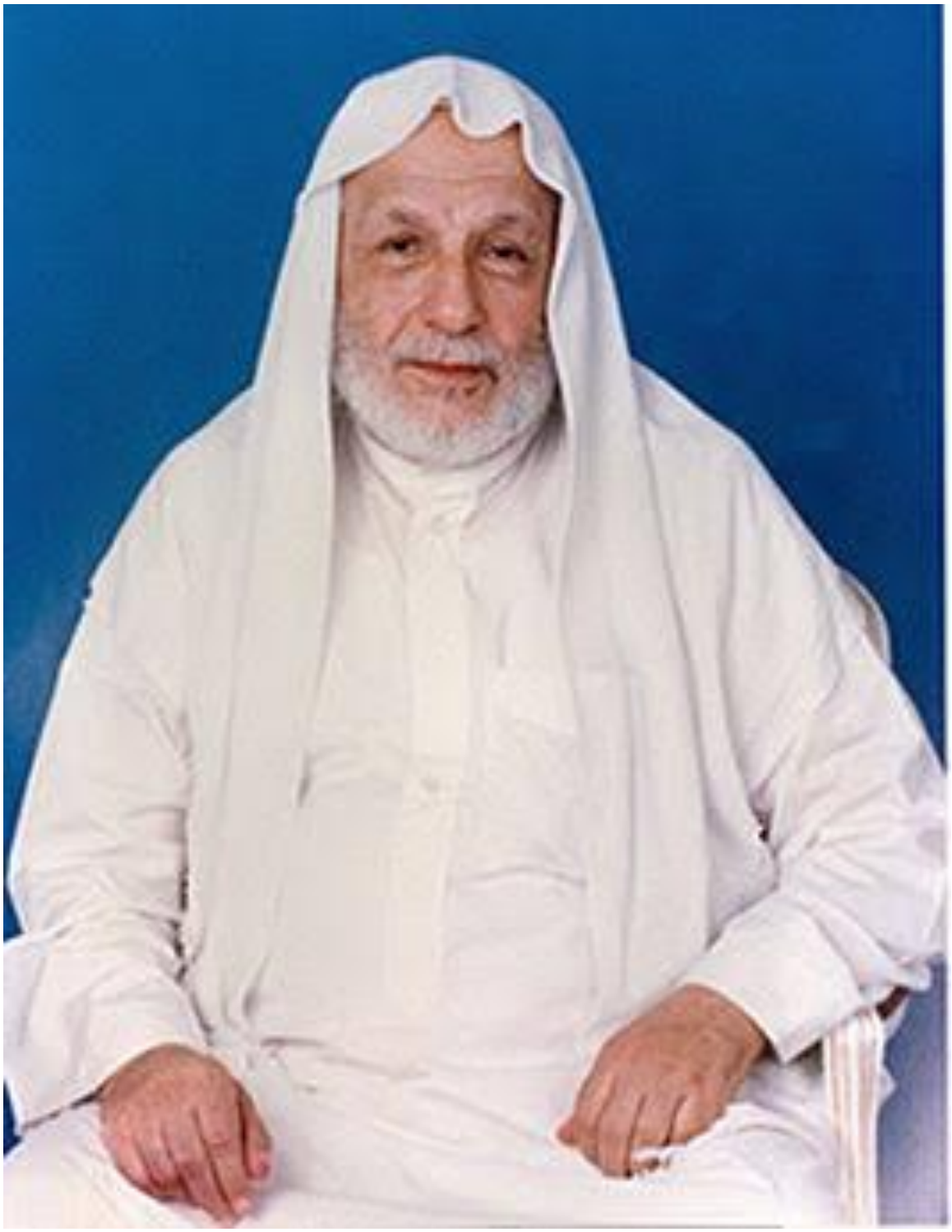

T.C.

MARDİN ARTUKLU ÜNİVERSİTESİ

YAŞAYAN DİLLER ENSTİTÜSÜ

İNTİHAL RAPORU

TezBaşlığı **Tantavi'de Hatırat Sanatı**

Yukarıda başlığı gösterilen tez çalışmamın kapak sayfası, giriş, ana bölümler ve sonuç kısımlarında oluşan toplam 110 sayfalık kısmına ilişkin 02/10/2019 tarihinde tez danışmanım tarafından iThenticateadlı intihal tespit programından aşağıda belirtilen filtrelemeler uygulanarak alınmış olan orijinallik raporuna göre, tezimin benzerlik oranı alıntılar dahil % 5

Uygulanan Filtrelemeler:

Kaynakça hariç

Alıntılar dâhil

5 Kelimeden daha az örtüşme içeren metin kısımları hariç açıklamalar

Mardin Artuklu Üniversitesi iThenticateadlı intihal tespit programı sonucunda; azami benzerlik oranlarına göre tez çalışmamın herhangi bir intihal içermediğini; aksinin tespit edileceği muhtemel durumda doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi ve yukarıda vermiş olduğum bilgilerin doğru olduğunu beyan ederim.

Adı Soyadı: Ahmet GÖKÇE

Öğrenci No: 17765021

Arap Dili ve Kültürü Tezli Yüksek Lisans

Statüsü: Yüksek Lisans

Tarih ve İmza

02.10.2019

Danışman Onayı

A.B.D. Başkanı Onayı

T. C.

Mardin Artuklu Üniversitesi

Türkiye'de Yaşayan Diller Enstitüsü

Arap Dili ve Kültürü Anabilim Dalı

Yüksek Lisans Tezi

Tantavi'de Hatıra Sanatı

Ahmet GÖKÇE

17765021

Danışman

Dr. Öğr. Üyesi İbrahem ALSHBLI

Mardin

2019